

جنرالات تركيا لماذا يكرهون الإسلام؟

وهل الإسلام عقبة في طريق النهضة والتقدم؟

د. عبد الرؤوف شامى



جنرالات تركيا

لماذا يكرهون الإسلام؟

وهل الإسلام عقبة في طريق النهضة والتقدم؟



ص ب ١٧٠٧ القاهرة

الرمز ائبريدى ١١٥١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ أقمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان
خير أم من أسس بنيانه على شفا جرف هار فانهار به في
نار جهنم والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ ... سورة التوبة

رجل .. وموقف !

فى ساحة المحكمة .. ومنظر جثث خمسة عشر مشنوقاً تشاهد
من وراء قضبان النافذة .. وجه رئيس المحكمة - إلى الإمام
المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى - هذا السؤال :

أنت متهم بالدعوة إلى تطبيق الشريعة . إن من يطالب بها
مصيبه الشنق كما ترى فى جثث هؤلاء المشنوقين الخمسة عشر !!!
وهنا يصرخ - بديع الزمان - فى وجه القاضى قائلاً :

لو أن لى ألف روح ماترددت أن أضحي بها كلها فداء لحقيقة
واحدة من حقائق الإسلام !

إننى أقول لكم وأنا واقف أمام الهرزخ الذى تسمونه السجن
فى انتظار القطار الذى يحملنى إلى الآخرة .. إننى مستعد لمرافقة
هؤلاء الذين علقوا على المشاق ؟

لقد كانت الحكومة تخاضع العقل أيام الاستبداد .. والآن فإن
هذه الحكومة تعادى الحياة ... !!!

ألا ... فليعيش الجنون وليعيش الموت

وللظالمين .. فليتمش جهنم .. !!

بديع الزمان سعيد النورسى

مقدمة تاريخية

صبيحة اليوم الذى أكتب فيه هذا البحث كنت استمع إلى
النشرة الصباحية من هيئة الإذاعة البريطانية الـ B.B.C
وقد جاء فى هذه النشرة : أن دول الاتحاد الأوروبى رفضت
انضمام تركيا إلى هذا الاتحاد .. أما لماذا ؟ فلأن تركيا دولة
مسلمة ، ولا يجوز أن تنضم دولة مسلمة إلى اتحاد يضم دولاً
مسيحية ... !!!

فى الوقت نفسه ... وفى النشرة نفسها قالت الإذاعة :
إن الجيش فى تركيا ضغط على رئيس الوزراء لإلغاء المدارس
القرآنية .. !! ومنع الدخول بالزى الإسلامى إلى الدوائر الحكومية
...!! وفرض حظراً شاملاً على أى نشاط إسلامى فى تركيا .. !!!

* * *

مامعنى هذا كله ؟
معناه أن الإسلام يُحاصر من الداخل ومن الخارج ؟

ومعناه أن المسلمين لم يعد لهم شأن ولا قيمة في نظر العالم
ومعناه أن (بعض) حكامنا المسلمين يقفون مع أعداء المسلمين
في مربع واحد 11..

قبل عامين سافرت إلى (استانبول) التي تُعرف حاليا باسم
(استانبول) لحضور الندوة العالمية عن الإمام المجاهد (بديع الزمان
سعيد النورسي) .

وفي حفل غداء دُعينا إليه من رئيس بلدية المدينة سمعنا
عجبا .. أن رئيس البلدية الذي دعانا إلى حفل الغداء كان عضوا
في حزب (الرفاء) الإسلامي الذي حله الجنرالات 12..
كانت مدينة (استانبول) قبل أن يتسلمها هذا الرجل أو هذا
الشاب غارقة في مشكلات عويصة استعصى حلها على جميع
رؤساء البلدية السابقين .

مشكلات في المواصلات . ومشكلات في المرافق ومشكلات
في توفير المساكن للفقراء من أبناء الشعب . كانت (استانبول) -
أكبر وأجمل المدن - تعيش مرحلة احتضار حقيقية .

ولم يظف عام ، بعد تولى هذا (الشاب) شؤون المدينة تغيير
كل شيء. توفرت وسائل المواصلات والتنقل وتوفرت المساكن للفقراء .

الباحثين عن مأوى .. وأصبحت المرافق تعمل بصورة جيدة فى كل شئ .

حتى (المياه) التى كانت شحيحة أصبحت فائضة عن الحاجة .
وهناك قصة لطيفة تتحدث عن نقص المياه فى هذه المدينة :
يقول رواة هذه القصة : إن رئيس البلدية دعا إلى إقامة صلاة
(الاستسقاء) فى جميع المساجد . فخرجت الصحف (العلمانية)
تسخر وتتدد بهذا الغباء وهذا التخلف .. !!

وكانت المفاجأة التى ألقمتهم حجرا .. فقد تجمعت السحب فى
سماء المدينة فجأة .. وأمطرت السماء مطرا ملاً كل (الحيازات)
الفارغة !!!..

لم يكتف الرئيس الشاب بكل هذه الإنجازات فقد خطا خطوات
أخرى كان لها وقع الصاعقة فقد أغلق نوادى القمار والخمر .
وذهب إلى زعيمة (الداعرات) فى المدينة - وهى أرمينية الأصل -
يعرض عليها وعلى ضحاياها (التوبة) ويعدهم بتوفير حياة كريمة
لاتقة بعيدة عن الفجور والدعارة !

وعادت الصحف (العلمانية) تدق طبول الحرب ضد هذه
(المصيبة القومية) .. كيف يجرؤ رئيس البلدية على إغلاق

(أوكار الدعارة) وكيف يقضى على (بؤر الفساد) التى توفر
للحكومة عشرة مليارات كل سنة !!!

لماذا حدث بعد ذلك لهذا الشاب التقى الصالح ؟
فى (عمود) اليومى بصحيفة الأهرام كتب الأستاذ (أحمد
بهجت) بقول : كنا نتهباً لمفادرة اسطنبول ، وكانت طائرتنا
تتحرك الساعة التاسعة مساءً ، ولما كان المفترض أن يصل المسافرون
إلى المطار قبل ساعتين من حركة الطائرة ، فهذا كان يعنى بالنسبة
لنا عدة ساعات نقضيها فى السياحة ومشاهدة معالم المدينة .
ونحن نفخر فى مصر بأن القاهرة هى مدينة الألف متذنة ..
وأن فيها ألف مسجد إلى جوار الكنائس ، أما اسطنبول فهى
مدينة تضم ثلاثة آلاف مسجد إلى جوار الكنائس الشهيرة ..
واسطنبول مدينة تشبه كتاباً مفتوحاً من كتب التاريخ .
إن كل ركن فيها وكل بناء يحمل أثراً من آثار التاريخ .
مضيئاً لضرب فى طرقات المدينة ثم أحسنا حين أقبيلت
الظهيرة أن هناك شيئاً غير عادى قد وقع .. لقد بدأ المرور يتحول
إلى البطء وضاعت سبولة الحركة فى شوارع المدينة ..
وبدأنا نتبع الخبر .. كان الخبر من أعجب ما سمعنا فى

حياتنا الصحفية على كثرة ما شاهدنا وسعنا من عجائب .
قيل لنا إن حركة المرور أبطأت وأصابها ما يشبه الشلل بسبب
مظاهرة هائلة تتكون من مائة ألف مواطن تركي اجتمعوا في
الساحات والميادين والشوارع ابتداءً من مسجد الفاتح إلى مسجد
بايازيد وسط اسطنبول .

سألنا : لماذا احتشدت المظاهرة ؟

قالوا : احتشدت المظاهرة احتجاجاً على قرار المحكمة
الدستورية العليا بتأكيد حبس عمدة اسطنبول ورئيس بلدياتها
(رجب طيب أردوغان) .

سألنا :

ما هي الجريمة التي كانت سبباً في الحكم عليه بالحبس ؟
قالوا : هي جريمة خطيرة خطيرة .. لقد قرأ منذ ثمانية أشهر .
وهو بخطب في الجماهير بيتاً من الشعر كتبه الشاعر التركي
محمد عاكف ، وهو شاعر كانت له انجذابات إسلامية ، وهو يقول
في قصيدته :

(المساجد ثكنات المؤمنين ، وقبابها خوذاتهم ، أما مآذنها فهي
رماحهم) .

بسبب بيت واحد من الشعر حُكِمَ بالحبس على رجل له تقديره واحترامه في الشارع السياسي التركي ، وقد اتهم بأنه يعضل على تقويض الأسس العلمانية للدولة التركية وإقامة نظام إسلامي .. هذه هي الجريمة التي دخل بها الشعر إلى السجن ١.

فلماذا كل هذه الكراهية للإسلام ، ولماذا يقف جترالات تركيا من الإسلام موقف البغض والعداء .. ؟

لنعد قليلا إلى الوراء .. إلى السبب الحقيقي لهذه الكراهية وهذا العداء .. وبعبارة أكثر - دقة ووضوحا - إلى هذا المستنقع الذي انتشر منه هذا الوباء ، وهذا البلاء ... !!!

(.....) لقد بلغ الإسلام في بداية القرن التاسع عشر نهاية جزره في القوتين : المادية والمعنوية ، لأنه تلقى عن القرون السابقة أثقالا من المتاعب لم تمتحن أمة من قبله بمثلها ، ولا نعرف من المؤرخين من يستغرب مصاب الإسلام بعد ما تلقاه من الضربات منذ القرن العاشر إلى القرن التاسع عشر ...

وإنما الغريب عندهم هو تلك القوة المتبعة التي صابر بها الكوارث والشدائد زهاء تسعة قرون ولم يزل بعدها وحدة إنسانية هائلة تتخذ مكانها بين هيئات الأمم ..

ضربات لم تصمد لمثلها دولة من الدول الجامعة ، أو الدول التي
سُميت بالإمبراطوريات في العصرين القديم والحديث .
(وقد رأينا ^(١) كثيرا من المؤرخين يوازنون بين أخطار هذه
الضربات ويجعلون الحروب الصليبية في مقدمتها من هذه الحركات
والإغارات ، أو يجعلونها فاتحة الضربات يتلوها ما تعاقبها من
الأخطار والأخطاء) .

وهذه الحروب من غير شك كانت من أعظم الأخطار التي
امتحنَت بها الأمة الإسلامية . لكنها من غير شك أوقفت عوامل
الشقاق بين الأمم الإسلامية ردحا من الزمن ... وكان صلاح الدين
الأيوبي بطل هذه الحروب غير مدافع في نظر الدول الأوروبية ، ونظر
الشرقيين على السواء (... قهر الرجل الذي هيأته العناية الإلهية
لهذه المهمة العظيمة وجمع فيه من خصال الحزم والعزم والإخلاص
والحرص على الجهاد ، والتفاني في سبيله ، وعلو الهمة في نصر
الإسلام ، وحسن القيادة وقوة التنظيم ، والصلاح والديانة ،
ومكارم الأخلاق ما لا يجتمع إلا في أفئدة الرجال في العالم ، وقد
توحد العالم الإسلامي من بين نهر الفرات ونهر النيل للمرة الأولى

(١) عباس محمود العقاد «الإسلام في القرن العشرين» ص ٤٠ ..

- بعد مدة طويلة - تحت قيادته ، واجتمع تحت لوائه أجناس كثيرة من المسلمين لم يجتمع من قبل^(١) .
إلا أن هذا الرجل الحليم الرصين ثارت ثائرتة وجن جنونه حين سمع بعزم أرنولد (Arnold) صاحب (البكر) على فتح الحجاز ، وإعداد العدة في البر والبحر لاقتحام المدينة المنورة وهدم المسجد النبوي .. ! فأقسم صلاح الدين ليقتلن هذا الرجل بيده إن مكثه الله منه .

فكانت موقعة (حطين) ^(٢) التي تعد من المواقع الحاسمة في تاريخ الإسلام . وظفر صلاح الدين بشرفمة من الملوك والأمراء ... وعفا عنهم جميعا إلا أرنولد هذا .. فانه لم يقبل فيه شفاعته من أحد ... وتناول سيفه وضرب به عنقه بيده . وهو يقول : برئت من شفاعته محمد إن قبلت في هذا الأحق شفاعته شفيح ^(٣) ... !
وقد مات صلاح الدين بعد ما قضى مهمته إلى حد بعيد ... وتراجع سبل الصليبيين بعد أن تعلموا دروساً جديدة مفيدة ..

(١) ماذا خسر العالم بالاحتفاظ المسلمين - أبو الحسن النوبختي ص ١٥٣ ..

(٢) قرية في فلسطين وعندها كانت المعركة الشهيرة بين صلاح الدين الأيوبي والصليبيين سنة ١١٨٧ م ..

(٣) الإسلام في القرن العشرين ص ٤١ ..

درسوا جوانب الضعف والقوة فى الجبهتين .. الجبهة الإسلامية ...
والجبهة الصليبية ، وعاد المسلمون سيرتهم الأولى من انقسام
وتنافس وغفلة ، ولم تزل قوتهم تضعف وتهن دون أن يشعر بذلك
أحد . حتى كانت الإغارة التتريّة التى تركت خلفها الدمار والحراب
وكشفت للمسلمين وللعالم الخارجى - وبخاصة الصليبي - حقيقة
أنفسهم وضعفهم وبعد أن اجتاحت بغداد زال ذلك الشبح وسقط
(المجندار) (٣) فعاشت الطيور والوحوش فى الحقل وتجاسر الناس
على المسلمين وبلادهم .

فى ذلك الحين ، ظهر الترك العثمانيون على مسرح التاريخ ،
وفتح محمد الثانى مدينة (القسطنطينية) فى سنة ٨٥٧
هـ - ١٤٥٣ م ..

فتجدد بهذا الفتح رجاء الإسلام ، وانبعث الأمل فى المسلمين .
وكان فتح مدينة (القسطنطينية) دليلاً على قوة الأتراك الحربية .
وحسن قيادتهم العسكرية .

كان عمره (محمد الفاتح) فى ذلك الوقت أربعاً وعشرين
سنة !! ..

(١) ما ينصب لى الزرع لفرد الطير والوحش ، ويعرف فى مصر بـ «خبال المانة» ..

ويقول البارون كارادفوا (Baron Cardevauy) :

إن هذا الفتح لم يقيض لمحمد الفاتح اتفاقاً ، ولا تبسّر لمجرد ضعف دولة (بيزنطة) بل كان هذا السلطان يدير التدابير اللازمة له من قبل ، ويستخدم كل ما كان في عصره من قوة العلم ، فقد كانت المدافع حينئذ حديثة العهد ، فعمل على تركيب أضخم المدافع التي يمكن تركيبها يومئذ ، وانتدب مهندساً مجرباً ركب مدفعاً كان وزن الكرة - القذيفة - التي يرمى بها ثلثمائة كيلو جرام ، وكان مدى مرماه أكثر من ميل ، وقيل إنه كان يلزم هذا المدفع سبعانة رجل ليتحركوا من محله ، وكان يلزم له ساعتان لحشوه ، ولما ذهب محمد الفاتح لفتح القسطنطينية كان تحت قيادته ثلثمائة ألف مقاتل ، ومائة وعشرون سفينة حربية (١) ...

ولكن كان من سوء حظ الأتراك والمسلمين معاً أنهم أخذوا في الانحطاط والتدني ، وذبح فيهم داء الأمم من قبلهم من البغضاء والتحاسد واستهتاد الملوك وجورهم ، وسوء تربيتهم ، وفساد أخلاقهم ، وخيانة الولاة والأمراء ، وغشهم الأمة وإخلاق الشعب إلى الراحة والدعة ، وتفشى الجهل والخرافة ١ .. وانقطع ما بين

(١) حاضر العالم الإسلامي ج ١ ..

المسلمين وعلومهم الأولى ، فتندر فيهم من كان يتعلم النافع منها كالفقه واللغة والأدب والرياضة ، وانقطع ما بينهم وبين العلوم العصرية ، فنظر الكثيرون منهم إلى علوم الجغرافيا ، والطبعية ، والكيمياء ، كأنها الكفر البواح ، أو السحر المزيّف ، فاصطيغ فهمهم للدين بصيغة الجهل والتخريف ، وطلبوا الخلاص من غير باب ، وتوسلوا للعمل بغير أسبابه ، واتهموا الناصحين ، وأرسلوا قاداتهم للدجالين والمحتالين ، وفي هذه الفترة كان الإسلام كما يفهم الجهلاء مزيجاً من الخرافة والشعوذة ، ومن الطلاسم والأوهام ، ومن الوثنية وعبادة الموتى وكان طلاب الفتوى - من مشارق الأرض ومغاربها - يسألون عن الكبريت هل يجوز منه ؟

وهل يجوز قدح النار منه ؟ أو طبخ الطعام على ناره ؟ أو يأثم من لمس صنفرتة ، لأنه مادة نجسة تنقض الطهارة . (١) ... ١
ومع كل هذه العلل .. فقد كانت الامبراطورية العثمانية قلعة للإسلام ولم تكد هذه القلعة تنهار ، ويصيبها الوهن والضعف ، حتى فتح الباب على مصراعيه أمام الغرب ، وانطلق البخار المسموم من مراحل الحقد ليدمر كل من يقف في طريقه إلى الشرق!

(١) الإسلام في القرن العشرين ص ٤٣ ..

(وقد كان القرن التاسع عشر ولا ريب أسوأ من كل القرون التي تقدمته لأنه القرن الذي انبعثت فيه (المسألة الشرقية) ^(١) من بقايا الحروب الصليبية .. وكانت المسألة الشرقية تمخضت عن دور آخر وراء دور الحروب الصليبية وهو دور التفاهم بين دول الاستعمار على تركة (الرجل المريض) ^(٢) ..

وتبادل الإغضاء عن كل طرف متفق عليه يقع في قبضة الطامعين فيه من المتنازعين على التركة وصاحبها على قيد الحياة ^(٣)

إن القلب ليمتلئ رعباً وهو يطالع تفاصيل هذه المزامرة التي حيكّت لتقسيم العالم الإسلامي وابتزازه ، والعمل على تدميره وتحطيمه ، وقد ذكر لنا المرحوم شكيب أرسلان مائة مشروع وضعت لتقسيم دولة الخلافة ، وفي هذا الحوار بين القيصر نيقولا إمبراطور روسيا ، والمير هاملتون سيموز سفير بريطانيا تتضح

(١) كانت المسألة الشرقية تعنى في أول الأمر تخلص الممالك المسيحية من أيدي الدولة العثمانية وفي مرحلة ثانية أصبحت تعنى تقسيم الدولة العثمانية والدول الإسلامية التابعة لها بين الدول الأوروبية ..

(٢) اصطلاح أطلقته الدول الأوروبية على الإمبراطورية العثمانية في مرحلتها الأخيرة.

(٣) عباس العقاد - محمد عبده ص ١٠ ..

أبعاد هذه المؤامرة الخطيرة ، وكيفية التدبير أو التفكير تجاه العالم الإسلامي وتدميره (١) .

(... ففي ليلة سمر عند الفرانديقة (هيلانة) الروسية - ٩ يناير ١٨٥٣م قال الإمبراطور نيقولا للسير هاملتون :
"تأمل . نحن بين أيدينا رجل مريض ... ومريض جدا ، ويكون بالفعل وبالأعظىما علينا إن خرج أمره من أيدينا " .
وفي مرة ثانية دُعي السفير هاملتون لمقابلة القيصر فقال له أيضا :

" أنت لا تجهل المقاصد والمرامي التي لا تزال في روسيا منذ عهد كاترينا ... وتركيا هي كما قلت لك - من قبل - رجل مريض ، ويجوز أن تموت بالرغم منا ! فتبقى عبثا علينا ، وليس في استطاعتنا نشر الموتى "

(أفلا يكون من الأفضل بحقتنا -تفادها لحروب أوروبية - أن نشفق من قبل على أمرها حتى لا تؤخذ على غرة ! وإنني أقول لك بصراحة .. إننا إن استطعنا أنا والمجتلرا أن نشفق في هذا الموضوع لم يهنا الآخرون ... وأنا لا أكتسك أنه إن كان في نية المجتلرا

(١). حاضر العالم الإسلامي ج ٢ ص ٣٠٧ ، ٣٠٨ ..

الاستيلاء على الأستانة فلن أحمّل ذلك . لا أقول إن لكم هذه النبىة ، ولكن أقول إن صحت هذه النبىة فلن أكون راضيا ، وأنا نفسى أتعهد أيضا بأن لا احتلها مالكا ... أما بصورة مؤقتة على سبيل الاستبداع فقد أراضى ... !!!

وأما إذا بقيت الأمور بدون قرار بشأنها ، فقد يجوز أنى أحتلها قولا واحدا .. !!!) .

فأجاب السير هاملتون :

(ليسمح لى جلالتك بالقول إنه ليس عندنا أدنى سبب للظن بأن المريض هو على وشك الهلاك) .
فرد القيصر لى حدة قائلا :

(إذا كان عند حكومتك أمل بأن تركيا لا تزال فيها عناصر الحياة فتكون المعلومات التى لديها غير صحيحة ... وأنا أؤكد لك أن المريض هو فى حالة الاحتضار وأنه لا يجوز أن يموت ونحن عنه غافلون .. هل يجب أن نتفق .. ولست أكلفكم عقد معاهدة .. أو تحرير صك .. وإنما أطلب كلمة اتفاق عامة ، وهذا كاف فيما بين الرجال الأكياس !!!) .

لم يحدث فى التاريخ ، وفى أشد عصوره همجية أن تأمر

رئيس دولة على دولة مجاورة ، والعمل على تدميرها بهذه الطريقة
التي كان يفكر بها قبصر الروسيا ، ولم يحدث في أظلم عصور
التاريخ ، وأشدها همجية ووحشية أن حكم رئيس دولة على دولة
أخرى بالموت ، وحدد ساعة موتها بهذه الطريقة ، ولم يحدث ولن
يحدث في المستقبل كما نظن ، ولكن الأحقاد التي تشعبت جذورها
في العقل الأوروبي وغارت في أعماق مشاعره وإحساسه هي التي
كانت تخطط لهذا العمل الهمجي ، وتنظم هذا الهجوم الوحشي
... وتتفق على توزيع التركة قبل التنفيذ العملي

وسواء أكان موقف السفير الإنجليزي تعبيراً عن موقف حكومته
أم لم يكن فإن الواقع ينفي كل اعتبار لحسن النية ، واعتقادنا هو:
أن بريطانيا لم تشأ أن تشرك روسيا معها في اقتسام الغنيمة .
لقد بدأ الهجوم على العالم الإسلامي في كل أقطاره ، وأحاطت
به الجيوش والأساطيل في عقر داره ، دمرت بريطانيا محاللك الإسلام
في الهند ، وسيطرت على الخليج ، واحتلت في طريقها عدن ،
وأبحرت أساطيلها شرقاً وغرباً ، فلم تدع جزيرة في بحر أو مدينة
على ساحل .

وانطلقت فرنسا من وراء بريطانيا ، فاحتلت الجزائر والمغرب

وتونس .

وذهبت إيطاليا إلى الصومال وإريتريا ، وسيطرت هولندا على جزر الهند الشرقية بأكملها ، وأحيط بممالك الإسلام وسلطنته في شرق وغرب إفريقيا وأخيرا وقعت مصر والسودان في قبضة بريطانيا ...

لقد سقط (المجدار) ومشت سكة الأجني في حق الإسلام ، وتداعت الأمم على المسلمين كما تنبأ النبي ﷺ قبل ذلك بأكثر من ألف وأربعمائة عام (١١)

كانت النازلة شديدة ، والكارثة كبيرة ، والمعركة ضد الإسلام والمسلمين ضارية عنيفة ، كانت هذه الأيام والسنوات كما يقول المؤرخ الجبرتي :

(... أول سنى الملاحم العظيمة ، والحوادث الجسيمة ، والوقائع النازلة ، والنوازل الهائلة ، توالى المحن ، واختلال الزمن ، وانعكاس المطبوع وانقلاب الموضوع وتتابع الأحوال ، واختلاف

(١١) في حديث عن رسول الله ﷺ أنه قال : "يرشك أن تدعى عليكم الأمم كما تدعى الأكلة على قصعتها" . الحديث رواه أبو داود والبيهقي في دلائل النبوة . انظر : مشكاة المصابيح ج ٢ طبعة المكتب الإسلامي ١٣٨١ هـ ..

الأحوال ، وغصوم الخراب ، وتواتر الأسباب ، وما كان ربك ليُهلك
القرى بظلم وأهلها مصلحون) (١) .

ولقد لعبت (اليهودية العالمية) دورا رئيسيا في إسقاط دولة
الحلافة ، وهو دور يرجع إلى أسباب كثيرة .

من أهمها وقوف هذه الدولة في وجه نظام اليهود الذين
كانوا يخططون لاستلاب فلسطين منذ قرون عديدة .

فقد تطلع اليهود على مر العصور التاريخية إلى فلسطين
كإقليم يجمع شتاتهم (٢) وينشئون فيه دولة . وكانت أصواتهم
تعلو حيناً وتخفت حيناً آخر تبعا للحلاصات التي أحاطت بهم ،
وتبعا لظروف الدولة التي كانت تقارص سيادة فعلية على فلسطين ،
ولكن لوحظ أن أصواتهم ازدادت ارتفاعا بل ضجيجا وعلى فترات
متقاربة منذ الثمانينات في القرن التاسع عشر ، وتنادوا إلى
تهجير اليهود المشتتين في أنحاء العالم إلى فلسطين وإنقاذهم من
الاضطهاد الذي يتعرضون له في المجتمعات التي يعيشون فيها .

(١) عجائب الآثار للجبرتي - ط . دار الشعب بالقاهرة ..

(٢) الدولة العثمانية دولة إسلامية مطرى عليها - د . عبد العزيز الشاوي ص ٩٧٣

وما بعدها ..

وطالبوا بإنشاء دولة يهودية في فلسطين ، وأطلقوا على حركتهم اسم الحركة الصهيونية نسبة إلى صهيون وهو جبل يقع على المشارف الجنوبية لمدينة القدس القديمة تأكيداً لإصرارهم على إنشاء الدولة اليهودية في فلسطين . وشقت هذه الحركة طريقها بما توفر لها من قيادات سياسية على أعلى المستويات العلمية ، ووسائل الدعاية والإعلام ، والتنظيم الدقيق ، والتمويل الرتيب وما إلى ذلك من عناصر القوة ، وأنشأت الحركة منظمات أو أجهزة صهيونية تتولى اتخاذ الخطوات التي تؤدي في النهاية إلى تحقيق هدفها المنشود ، ونجحت في استقطاب الدول الكبرى إليها عطفاً وتأييداً وبذلك ، ولئن كانت فلسطين تعتبر في نظر اليهود أرض الميعاد تشدهم دينياً إليها ، فقد أصبحت أيضاً أرض الخلاص تجذبهم سياسياً إليها يقيمون فيها دولة يتفياون في ظلها الأمن بعيداً عن الاضطهادات الدينية وتعبد إليهم مجداً سياسياً تألق في فترة قصيرة موهلة في القدم ثم ذوى أعصراً ودهوراً وعاشوا على ذكرياته يبيكون ويتاهكون ...

وكان على الدولة صاحبة السيادة وقتذاك على فلسطين ، وهي الدولة العثمانية أن تخوض دفاعاً عن فلسطين صراعاً سياسياً

مريرا ضد القوى الصهيونية والدول المناصرة لها . ولجج
الصهيونيون فى توقيت حركتهم نجاحا باهرا ، فاقتاروا فترة
عصية من فترات الاضمحلال التى كانت تمر بها الدولة العثمانية
واتضح للمراقبين السياسيين فى ذلك الوقت مدى التدهور الذى
أصابها فى مواجهة الزحف الاستعماري الأوروبي على ممتلكاتها
بحيث أصبح سقوطها وشيكا ، فلم يعد للدولة الوزن السياسى أو
الثقل العسكرى الذى كانت تتمتع به على عهد سلاطين الفترة
الأولى ، ولذلك فلم يكن فى مقدورها أن تخوض بنجاح صراعا
سياسيا رهيبا ضد الصهيونية والدول الأوروبية فعملت فى حدود
إمكاناتها على الحد من الهجرة اليهودية إلى فلسطين .

كان السلطان عبدالحميد قد عرف خطة الصهيونية العالمية فى
الاستيلاء على بيت المقدس وإقامة هيكل سليمان نتيجة المخططات
التي كان يجرى تنفيذها فى الامبراطورية العثمانية تحت ستر
التنظيمات الماسونية التى نشرتها قوى اليهودية فى مختلف أنحاء
بلاد الخلافة ، وكانت ركيزتهم الأساسية هى جماعة الدولة فى
سالونيك ، هؤلاء اليهود الذين كانوا قد هاجروا من الأندلس بعد
سقوطها فى يد الفرنجة وانتهاء الحكم الإسلامى فيها فقد قصدوا

إلى تركيا ليستظلوا بظل السلمين بها ، وفي سالونيك كانت خطتهم لإقامة المحافل الماسونية واستقطاب الاتحاديين لخدمة أهدافهم ، حتى استطاعوا إسقاط السلطان عبد الحميد حين عجزوا عن إغرائه أو احتوائه وكان للاتحاديين (١١) دورهم الخطير في هذه المؤامرة .

كان هرتزل قد حاول إغراء السلطان ليسمح لهم بالهجرة إلى فلسطين ورفض العروض التي قدمت له فوضعهم أمام قرار التخلص منه : وقد وضع هنا في مذكرات هرتزل ، كما أشار إليه السلطان في الوثيقة المعروفة التي نُشرت أخيرا :

(إنني كأمانة في ذمة التاريخ لم أتخل عن الخلافة الإسلامية لسبب ما سوى إنني بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد والترقي المعروفة باسم (جون ترك) وتهديدهم اضطرت وأجبرت على ترك الخلافة . إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا بأن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف وأخيرا وعدوا بتقديم مائة

(١١) الاتحاديون لم يطلق على بعض الأتراك الذين يرون الرابطة القومية أهم من الرابطة الإسلامية ..

وخمسين مليون ليرة ذهبية إجليزية فرفضت هذا التكليف بصورة
قطعية أيضا . وأجبتهم بالجواب القطعي :

إنه لو دفعتم ملء الدنيا ذهبا فلن أقبل تكليفكم ، لقد خدمت
الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فكيف
أسود صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء
العثمانيين ، لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي .

وبعد جوابي اتفقوا على خلعي فقبلت التكليف وحمدت المولى
أننى لم أطلع وجه الدولة العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار
الأهدى) !!!...

وهكذا دفع السلطان عبد الحميد ثمن موقفه الحاسم من
الصهيونية العالمية وكان للنفوذ الأجنبى مشاركة ضخمة فى هذا
الأمر ، ذلك لأن اللواء الذى رفعه تحت اسم (الجامعة الإسلامية) :
خارج نطاق الدولة العثمانية : يامسلمى العالم اتحدوا قد هز
الدوائر الاستعمارية هزا شديدا ومن ثم كانت المؤامرة ذات شقين :
(١) إسقاط السلطان عبد الحميد : وهذه كانت مهمة
الاتحاديين .

(٢) إسقاط الخلافة العثمانية : وهذه مهمة الكماليين (١١) .

ولم يكن الكماليون والاتحاديون إلا فرع دوحه واحدة : تقاسمت العمل على مرحلتين للإجهاز على الدولة العثمانية والخلافة وفتح الطريق أمام الصهيونية العالمية لتصل إلى فلسطين ، ولتمزق العرب والترك ولتتمكن للاستعمار البريطاني والفرنسى من اقتسام تركة كان يطلق عليها (اسم الرجل المريض) ...

وقد كان السلطان عبد الحميد يعرف دخائل هذا المخطط كله : بفروعه وخلفائه ، لحيما يتصل (بالدوغة) والمحافل الماسونية ومخططات الاتحاديين (تركيا الفتاة) وفي مقدمتهم مدحت وأحمد رضا . ويعرف الأهداف الخطيرة التى يدور حولها تأمر الصهيونية مع بريطانيا وغيرها من دول أوروبا ، ولكنه بعد كل هذه الوساطات التى بذلها هرتزل أرسل إليه كلمته الواضحة الحاسمة الصريحة : انصحوا الدكتور هرتزل ألا يتخذ خطوات جديدة فى هذا الموضوع .

إننى لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد من الأرض قهى ليست ملك يبنى بل هى ملك شعبى .

(١١) كمال أتاتورك وأتباعه ..

لقد قاتل شعبي في سبيل هذه الأرض ورواها بدمه فلحتفظ
اليهود بملايئتهم . إذا مزقت إمبراطوريتي فلعلهم يستطيعون
آنذاك أن يأخذوا فلسطين بلا ثمن ولكن يجب أن يبدأ ذلك
التمزيق أولاً في جثثنا . وإنى لا أستطيع الموافقة على تشريع
أجسادنا ونحن على قيد الحياة ...!!!

في المركز الإسلامي في لندن عندما سافرت إلى بريطانيا في
أول مرحلة من مراحل البحث للحصول على درجة الدكتوراه .
التقيت بأحد أولاد السلطان عبد الحميد الذي كان يقيم لاجئاً في
بريطانيا ...

سألته عن أبعاد الحركة التي أطاحت بوالده من سدة الخلافة
والحكم ؟ ... فأجاب - بينما كان يسترجع ذكريات هذه الأيام
العصيبة - قائلاً : هناك سبيان رئيسيان لهذه الأحداث الأليمة :
أولهما : موقف والدي من الحركة الصهيونية ورفضه رفضاً
باتاً بالسماح للهجرة اليهودية إلى فلسطين ...

وأما ثانيهما :- فلأن والدي حاول في سنوات حكمه الأخيرة
إحياء الوحدة الإسلامية للوقوف صفاً واحداً في وجه المؤامرات
التي كان يحكيها الغرب ضد الخلافة التي كانت تمثل - في ذلك

الوقت - راية يشجع حولها المسلمون في الشرق والغرب .
وأضاف قائلاً : إن والدي لم يكن بهذه الصورة البشعة التي
تصوره بها دوائر الغرب ومن ورائها الصهيونية العالمية ، لقد كان
مسلماً قوى الإيمان والعقيدة .

كما كان في حياته (الخاصة) (صوفياً) يحرص على قراءة
(أوراده في كل ليلة) ... ولن نجد أصدق من هذه (الوثيقة) التي
بعث بها السلطان من منفاه إلى شيخ الطريقة الشاذلية تقول هذه
الوثيقة : (الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على
سيدنا محمد رسول رب العالمين وعلى آله وصحبه أجمعين إلى يوم
الدين .

أرفع عريضتي هذه إلى شيخ الطريقة العلية الشاذلية . إلى
مفيض الروح والحياة . إلى شيخ أهل عصره الشيخ محمود أفندي
أبي الشامات ، وأقبل يديه المباركتين راجياً دعواته الصالحة !!!
بعد تقديم احترامي ، أعرض أني تلقيت كتابكم المؤرخ ٢٢
مارس في السنة الحالية وحمدت المولى وشكرته أنكم بصحة
وسلامة دائمتين .

سيدي ، إنني بتوفيق الله تعالى مداوم على قراءة الأوراد

الشاذلية ليلا ونهارا وأعرض أننى مازلت محتاجا لدعواتكم
القلبية بصورة دائمة.

بعد هذه المقدمة أعرض لرشادتكم ، وإلى أمثالكم أصحاب
السماحة والعقول السليمة المسألة المهمة الآتية كأمانة فى ذمة
التاريخ .

إننى لم أتغل عن الخلاقة الإسلامية لسبب ما . سوى أننى -
بسبب المضايقة من رؤساء جمعية الاتحاد المعروفة باسم (جون
توركا) وتهديدهم اضطرت وأجبرت على ترك الخلاقة .

إن هؤلاء الاتحاديين قد أصروا على أن أصادق على تأسيس
وطن قومى لليهود فى الأرض المقدسة (فلسطين) ورغم إصرارهم
فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف .

وأخيرا وعدوا بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة
إنكليزية ذهباً . فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضا .
وأجبتهم بهذا الجواب القطعى الآتى :-

(إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً - فضلا عن (١٥٠) مائة
 وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه
قطعى . لقد خدمت الأمة الإسلامية والأمة المحمدية . مايزيد عن

ثلاثين سنة ، فلم أسود صحائف المسلمين أبائى وأجدادى والمخلفاء
 العثمانيين . لهذا لن أقبل بتكليفكم بوجه قطعى أيضاً) .
 وبعد جوابى القطعى اتفقوا على خلعى ، وأبلغونى أنهم
 سيعيدوننى إلى سالونيك فقبلت بهذا التكليف الأخير .
 هذا وحمدت المولى وأحمدته أننى لم أقبل بأن ألطخ الدولة
 العثمانية والعالم الإسلامى بهذا العار الأبدى الناشئ عن تكليفهم
 بإقامة دولة يهودية فى الأراضى المقدسة (فلسطين) .
 وقد كان ذلك ماكان . ولنا لىأتى أكرر الحمد والشاء على الله
 المتعال.

وأعتقد أن ماعرضته كاف فى هذا الموضوع المهم ، وبه أختتم
 رسالتى هذه أتم بديكم المباركتين وأرجو وأسترحم أن تشفظلوا
 بقبول احترامى وسلامى إلى جميع الإخوان والأصدقاء .
 يا أستاذى المعظم ، لقد أطلت عليكم البحث ، ولكن دفعنى
 لهذه الإطالة أن أحيط سماحتكم علما ، وتحيط جماعتكم بذلك
 علما ... والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

خادم المسلمين

عبدالحمد عبدالمجيد

(كان أصحاب العقول المحركة لحركة الانقلاب والترقي عام ١٩٠٨ كانوا يهودا من الدوغة ^(١) أما المساعدات المالية فإنما كانت تصلهم عن طريق الدوغة ويهود سالونيك ^(٢) الممولين . وتقول صحيفة المشرق) .

(بأن الكل يعلم أن مركز الانقلاب إنما كان في سالونيك واليهود فيها نيف وسبعون ألفا) وهناك معلومات تؤكد أن الحقيقة الظاهرة في تكوين جمعية الاتحاد والترقي أنها غير إسلامية وغير تركية فمنذ نشأتها لم يظهر بين قادتها وزعمائها عضو واحد من أصل تركي خالص ...

كان (جاويد) يهوديا من الدوغة وقارصوه من اليهود الأسبان وكذلك طلعت بلغاريا أما احمد رضا فقد كان نصفه شركسيا والنصف الآخر مجريا ، أما نسيم وروسو ونسيم مازلياح فقد كانوا يهوديين .. ويقول :-

ويبرز دور اليهود ثانية في حادثة خلع السلطان عبدالحميد الثاني عندما مارس الاتحاديون الضغوط على مفتي الإسلام محمد

(١) الدوغة معتابا ، المرتد عن اليهودية ظاهرا والمرتد عن الإسلام باطنا ..

(٢) سالونيك : تقع حاليا في بلاد اليونان ..

ضياء الدين بإصدار فتوى الخلع ثم أوفدوا هيئة مكونة من عارف حكمت وأسعد طرمتاني وغالب باشا ومن زعماء اليهود قراصوه رئيس المحفل الماسوني في سالونيك وشلمون اهران ووصلوا إلى بلنزا لابلاغ السلطان نأ الخلع .

وكانت مشاعر التأثر والانزعاج بادية عليه فقال بقضب :
ما هو عمل هذا اليهودي . (يقصد قراصوه) في مقام الخلافة .
بأى قصد جئتم بهذا الرجل أمامي . ويذكر التقبيل التركي (ديبريلي) بأن السلطان عبدالمعبد حدثه عندما كان منبجوتا في سلاتيك عن آخر اجتماع له مع الزعيم الصهيوني هرتزل ورئيس المحاكمات في تركيا فقال :

تصور أن هذين اليهوديين مثلاً أمامي ليقدمنا إلى سلطتنا رشوة ، صرخت في وجههما قائلاً :

أن اخربا من هنا ، إن الوطن لا يباع بالنقود . طلبت إلى رجال القصر أن يقودوهما حالاً إلى خارج القصر . وبعد ذلك أصبح اليهود أعدائي فما ألقىه هنا في سلاتيك من عذاب الاعتقال ليس سوى جزائي منهم حيث لم أرض أن أقطع لهم أرضاً لدولتهم المزعومة) ...

ويذكر السلطان نفسه في وثيقة علي قدر من الأهمية موقف الاتحاديين واليهود من سياسته .

فبقول : إن هؤلاء الاتحاديين أصروا على أن أصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدسة - فلسطين - ووعدوا بتقديم مائة وخمسين مليون ليرة إنجليزية ذهبها فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية وبعد جوازي القطعي اتفقوا على خلعي وأهلوغني أنهم سيعيدونني إلى سالونيك) .

(...والآن لنبدأ القصة من أولها (١)):

ففي عام (١٦٦٥م) ادعى حاخام في (أزمير) يدعى (شبتاي زيفي) أنه المسيح ابن الله ، بعثه ليهود العالم مرشدا ومنقذا ، وكان أول بيان له كما يلي : (من ابن الله الولد الأول والوحيد له (شبتاي زيفي) المسيح والنقذ الإسرائيلي ، إلى بني إسرائيل السلام . لما كان لكم شرف المعاصرة لخلاص بني إسرائيل ، ولنحقق ما أخبر به الأنبياء ، والآباء ، تحولت آلامكم إلى مسرات وصيامكم إلى التمتع بالملذات . يا بني إسرائيل ، لن يكون لكم

(١) د . محمد طه المجامر - مجلة العربي - العدد ٤٧٣ ..

بعد اليوم بكاء ، وقد منحكم الله قوة للناسى بصعب التعبير عنها
حافظوا على عبادتكم التى اعتدتم عليها من قبل ماعدا يوم الحزن
والحداد فإنه - تكريما لقدومى - يتحول إلى يوم شكر ومسرة لا
تخشوا شيئا أبدا فان حاكميتكم ستشمل جميع الشعوب وستكون
على الكائنات الحية كلها ، سواء التى على وجه الأرض أو التى
فى أعماق البحار .

وتتشر دعوته ، ويكثر أتباعه ، وشاع الكثير عن معجزاته ،
وأهمها أنه لا تخترق جسده السهام ولا تعمل فيه السيول
والخراب . وتصل أخباره إلى الآستانة ، ويرى فيه رجال الدولة
العثمانية نشاطا هداما يسم العقول الساذجة ، فيأمر السلطان
العثمانى فى ذلك العهد (محمد الرابع) بإحضاره إلى القصر فى
جلسة خاصة حضرها السلطان نفسه والصدر الأعظم (أحمد باشا
الكوبرلى) ونخبة من رجال الدولة ، وأخبروه أنه تأكيذا لصديق
دعوته سيعرضون جسده لوابل من السهام من ثمانية من أمهر
الرماة . وكما كان متوقعا ارتعد الرجل من رأسه إلى قدميه ،
وحاول أن ينكر كل شئ ، ولكن القران كانت دافعة ، حينئذ
خطرت له فكرة شيطانية يلجأ فيها إلى خديعة ينجو بها برأسه

وينفذ حياته لاختراق الأمة التركية وتضليلها لتأخذ بتوسل إلى السلطان ويعدده إن عفا عنه أنه سيعتق الإسلام ، وسيكون من دعائه المخلصين ، وربما كان ذلك سببا في هداية اليهود إلى الإسلام ، وهكذا أشهر الرجل إسلامه وسمى نفسه (محمدا) وليس الجبة والعمامة ، وعين له راتب شهري وخصص له جناح في القصر دريا للفساد ، ولكيلا يختلط بالناس ويعود سيرته الأولى .

ويذكر المؤرخون أن إسلامه كان نكبة على الدولة الإسلامية والمسلمين بقدر ما كان انتصارا لليهودية العالمية ، فإسلامه كان مجرد كلمة فاه بها لينجو برأسه وليخلق سرطانا وهيبا في الجسم العثماني يستفعل وينتشر ، وينتقل بالوراثه من جيل لآخر ، محافظا على نشاطه الهدام ، إذ ما لبث (المهتدي) أن طلب إذنا من القصر ليقوم بنشاط جدي ، يدعو فيه ذويه وأقاربه ومن يثق به إلى الإسلام وقد استجاب القصر لذلك ، فسمحوا له بجولات في أنحاء البلاد وأطلقوا وراءه رجال المخابرات .

فماذا كانت النتيجة ؟

لقد أخذ الرجل يدعو كل من استمع إليه والتف حوله من اليهود في تركيا ، إلى أن يشهروا الإسلام بأفواههم ، ويمارسوا

نشاطا هداما ، لإفساد الأمة التركية وجعلها آلة فى أيدى الصهيونية وأشهر اجتماع انكشف فيه أمره كان فى إحدى ضواحي اسطنبول على البوسفور تدعى (كورو جشمه) حيث ضبط يخاطب أتباعه بالعبرية ، وأهم ما قاله : (الآن قد أصبحت مسلمين اعملوا بكل خرية ، عليكم أن تسيطروا على المصادر الدينية والطبيعية والمالية والتجارية والروحية والمحبة للأتراك ، واستنفروا فى سبيل ذلك كل إمكاناتكم ، واستخدموا مختلف الوسائل حتى تتم لكم السيطرة الشاملة عليهم) ، حيثذ ألقى القبض على الرجل ، وكان من المفترض أن يعدم لولا أن تدخل شيخ الإسلام ونصح بنفيه إلى مكان يؤمن فيه شره ، لأن قتله سيجعله شهيدا ويضاعف من الأساطير التى أشيعت حوله ، وهكذا تم نفيه إلى (سلايك) ولحق به الكثير من أتباعه ، وهكذا أيضا تحولت المدينة إلى مركز للدولة ومصدر إشعاع للخيانة والتآمر والأفكار المسمومة فيها وضعت كل المخططات التى أدت إلى تصفية الدولة العثمانية ، ومنها انبعثت كل الأفكار التى اتخذت طابع التحرر وعملت فى الشخصية التركية تحطيمها حتى تمكنت من تسخير فئة قليلة لمآربها ، ووجهتها وجهة لا يربطها بالعرب والمسلمين إلا العداء والنفور . من (سلايك)

خرج كل من ساهموا فى تحقيق الطامع الصهيونية وفيها زرعت بذور البغضاء بين الأتراك والعرب ، وحيكت المؤامرات لتفتت الدولة العثمانية وتوزيعها على دول الغرب وإقامة دولة إسرائيل . وفى مقدمة هذه الفئة : جمال وأنور ونيازى ... وآخرهم مصطفى كمال الذى لقب بعد انقلابه (أتاتورك) أى أبو الأتراك ١١ وفور أن استولى الاتحاديون على السلطة بمساندة المثلث المشنوم كان أول شئ فعلوه أن فتحوا لهم أبواب اسطنبول والمدن التركية الكبرى بل وحتى أبواب فلسطين أيضا ليهاجر إليها اليهود ويستوطنوا فيها . وإلى سلاتيك نفى السلطان عبد الحميد الثانى ، الذى - على الرغم من كل ماكتب عنه من أباطيل - يشبه التحليل الموضوعى لوقائع التاريخ أنه كان ذا توجه إسلامى وعربى فى سياسته . كما أنه وقف ضد أطماع الصهيونية فى فلسطين ورفض إعطائهم أى امتيازات بالرغم من العروض المغرية لدعم ميزانية الدولة بمبالغ طائلة من المال .

فى اسطنبول بدأت جماعة (الدوغة) بالسيطرة على مقدرات البلاد ، بدءا بالحكام والعسكريين فرجال الدين حتى أن أول شيخ للإسلام عين فى بدء عصر نفوذهم كان : (موسى كناظم أفندى)

فى ١٢/٧/١٩١٠ فى أوائل عهد الاتحاديين ، وأخذت تصدر عنه
 تصرفات وفتاوى تخدم أغراضهم وتبرر تصرفاتهم ، ثم وضعوا
 أيديهم على موارد البلاد فجرى تعيين (دوغة جاويد) وزيرا للمالية
 وفى عهده تقدم الدوغميون فى المجالات الاقتصادية ، والتجارية ،
 واستطاعوا بالربا الفاحش والاحتكار وبالاحتيال والاستغلال أن
 يسيطروا على الأسواق الداخلية ، ثم انتقل نشاطهم إلى الإعلام
 والثقافة ، فأسسوا صحفا تدعو لكل مايتنافى مع الإسلام ويزعزع
 ثقة التركى بمعتقداته وتراثه ، فأصدر (أحمد أمين يالمان) جريدة
 (الوطن) ثم قدموا الدعم المالى لبعض أتباعهم لإصدار الصحف
 الموالية لهم كصحيفة (حريات) وأغلب صحف اليوم ، إما يملكها
 ويديرها الدوغة ، أو تتلقى الدعم المالى منهم ، شريطة أن تسير
 فى فلكهم وتحقق أغراضهم . من هذه الصحف نذكر (مليات)
 وجريدة (صباح) الأكثر انتشارا والأشدّ عداوة للإسلام والمسلمين
 والعرب باعتبارهم حملة الرسالة ، ثم قام (عمر رضا دغول) وهو
 من الدوغة أيضا بترجمة القرآن ودعا إلى قراءته فى الجوامع
 والصلوات بالتركية ، كما ترجم الأذان ومنع الأذان بالعربية وألف
 (ألف تكين الب) وهو يهودى الأصل وكان يدعى قبل إسلامه

(وايز كوهين) - كتابا أسماء (التبريك) ونشره بين طبقات الشعب يدعوهم فيه إلى نبذ كل مايتعلق بدينهم وتراثهم لأنها رموز التخلف والرجعية ولقد ورد في إحدى صفحاته (وما لا ينكر أن الدين شيء إضافي ، أو بعبارة أخرى أضر ثانوى بالنسبة للإنسان وتنظيم حياته .

وأن الذين فسدت مشاعرهم السامية وتحللت روابطهم القومية ، فالدين لهم ، والدين عندهم كل شيء) .

ثم كانت انقلابات (أتاتورك) والرجل من سلاتيك وهناك شبهات حول جنوره ، أن الرجل كان قائدا عسكريا قذا ، وهو بطل معارك الدردنيل أثناء الحرب العالمية الأولى التى أفشلت حملات الأسطول البريطانى لاحتلاله ، وحين قام بانقلابه اعتمد على قائد الجيش المؤمن (الجنرال فوزى جقمق) وتظاهر بأنه مسلم ملتزم ومؤمن صالح ، فكان يحرص على حضور صلاة الجمعة ويدعو الله رافعا يديه إلى السماء ، إلا أنه ما كاد يستتب له الأمر حتى أعلن علمانية الدولة ، وأخذ يقضى على كل رابطة مع العالمين العربى والإسلامى فألقى الكتابة بالحروف العربية ، ودعا إلى التخلص من المصطلحات العربية فى اللغة التركية ، ومكن نخبة من الدفعة من

مقاليد الحكم الذين بدأوا حملة القضاء على هوية الشعب التركي
بدا يدينه ومعتقداته ، وإثارة العداوة والكراهية بينه وبين العرب
والمسلمين ، وما تزال هذه الحملة حتى الآن

كان (أتاتورك) كما يقول عنه صديقه ومؤرخ سيرته (عرفن
أورك) (١)

(كان قليل الاختلاط ، غير محبوب بين الأصدقاء في حياته
المدرسية ، كان أصدقاءه قليلين جدا ، كان بشور وبهيج بسرعة ،
وكان في صفه طالبا مثاليا ذكيا مجتهدا متواضعا ، وكان شديد
الفرام بالإثبات ، يجذبه هذا الجنس كالمغناطيس .. !!

وكان يتسلى بالخمر ويشغل نفسه بها فإنه لا يجد ما يسلى به
نفسه وروحه كالإيمان بالله واليوم الآخر لأنه كان لا يؤمن بهما ...
وكان يشعر بفرح وسرور حين يعتدى على الآخر وسطو به ،
وكانت هذه طبيعته التي فطر عليها ، وقد تجلت هذه الطبيعة في
تصرفاته .

ولم يكن يعترف بعواطف غيره لأنه لا يرى أجدا يوازيه ، وكان

(١) تفلأ عن كتاب «الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية» العلامة أبو

الحسن الندوي ص ٥٦ وما بعدها ..

مفطورا على حب التغلب على الآخرين وإخضاعهم لإرادته وهواه ،
وكان يحب أن يبقى على القمة دائما ، وقد اطلع على كتابات
والتر وروسو ، التي بعثت فيه روح الثورة وأبقت فيه عواطفها
الخامدة) .

(وقد هضم في شبابه مع أفكاره الثورية تعاليم ضياء كوك
ألب هضما جيدا ، وقد كافح كوك ألب للتور والحرية الدينية ،
وكان رائد التنوير الفكري الغربي ، وقد تكهن في سنة ١٩٠٠ م
بانقراض الدولة العثمانية واضطراب حبلها ، وأنه واقع لا محالة
لأنها عشت بالنواجذ على أسس الحكومة الفردية وكان يقول في
أكثر الأحيان (إن الحكومة الدينية حلقة ودية للحكومة الفردية
دائما) ، وقد انتصر للتحرر عن السلطة الدينية انتصارا قويا ،
وكان يرى أن تحدد سلطات العلماء ويجب أن تحدد الجماعات
الدينية المختلفة ، ويحظر على الأحزاب المتحمسة للدين وبضيق
الختناق عليها لأنها (كما يقول) تقع فريسة الشيطان فتتهافت
بالجهاد ، وقد دعا بقوة إلى إلغاء الشريعة وإقصاء قضاء المحاكم
الدينية الذين يشرحون القانون الإسلامي ويفسرونه ، وكان يرى أن
تقام المحاكم الحديثة والمحاكم الدينية) ... ١١٩

ويقول متحدثاً عما كان يضره ويعتقده كمال عن الدين عامة وعن الإسلام بصفة خاصة وعن وجهة نظره في كل ذلك :

أقد اقتنع بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين ، فإنه منافسه الأكبر وكان يعتقد من صغره أنه لا حاجة إلى الله ، إنه اسم غامض خداع مجرد عن كل حقيقة ، وكان لا يؤمن إلا بالمشاهد الحسوس (١) ، وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملاً هداماً في الماضي ، وأنه قد جنى على تركيا جناية كبيرة وألحق بها خسائر فادحة ، وقد تناسى أن الإسلام وحده هو الذي أسس الامبراطورية العثمانية الواسعة ، وكان يرى الناس قد أصبحوا فريسة الأوهام والجسود يتأثر الإسلام ، وكان يفيض الرجل الذي يخضع للقضاء والقدر ويقول :

- (هكذا أراد الله) (وهذا الذي قدر لي) وكان يعتقد أنه لا وجود للإله ، والإنسان يصنع قدره ، وكان يقول في أكثر الأحيان : إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على (قسوة) الإله ، ولكن يقول المتدينون : (الله يهمل ولا يهمل) كان يقول : ألم يطلع هؤلاء

(١) وقد ذكر المؤلف في كتابه أن كمال أتاتورك في آخر عهده كان يرفع قبضته ويشير بها إلى السماء ساخراً مهيداً ..

المتدينون على الطاقة الكهربائية التي تشتغل بسرعة ؟ (وكان مصمما على سن القانون لتحريم الدين فى تركيا ، ولو احتاج ذلك إلى استخدام القوة وإلى الحدة والتضليل) .

ويقول فى موضع آخر :

(ولم يكن لديه معنى لمبادئ علم النفس وللنظريات والفلسفات لذلك لم يمنع شئ عن أن يعتبر الدين غير لازم لتركيا وشيئا لا حاجة إليه ، ولكن الذى أعطاه للأمة التركية عوضا عن الدين هو (الإله الجديد) أى الحضارة الغربية ، وليس من الغرب أن الأمة قد حاربت لروحها وقد تعلم درسا من تاريخ المذنبات الأخرى أن الآلهة القديمة تموت بصعوبة وعسر (لذلك لا تخرج عقيدة الإله من قلب الأمة التركية إلا بعد مدة طويلة) .

ويقول فى موضع آخر :

(وكان ييقض الإسلام والعقيدة الصحيحة الراسخة بفضا شديدا ، وكان يقول : يجب أن نكون رجالا من كل ناحية ، قد قاسبنا خطوبا ومصائب عظيمة وكان السبب فى ذلك أننا عشنا فى عزلة عن الحياة ولم نحاول معرفة اتجاه العالم ويجب أن لا نحتفل بما يقول الناس ، نحن فى طريق الحضارة والمدنية ، ويجب

أن نعتز بذلك ونفتخر ، انظر إلى المسلمين في نواحي العالم الإسلامي .. إنهم يعانون من المصائب والنوازل والدمار ، لماذا ؟ لأنهم لم يستطيعوا أن يستخدموا عقولهم للتسجيم مع هذه الحضارة السامية المشرقة ، وهذا سبب بقائنا مدة طويلة في الخضيض ، وراء الركب ، وتردينا الآن في الهوة السحيقة ، وان استطعنا في السنوات الماضية أن نتجع إلى حد في إنقاذ أنفسنا فذلك لأن عقلياتنا قد تطورت ، ولكننا لا نقف على مكان ، بل إننا نهضنا لتتقدم ونواصل السير إلى الأمام فليحدث ما يحدث ، ليست لنا الآن طريق أخرى ، ويجب أن تعلم الأمة أن الحضارة نار ملتهبة تحرق جميع من لا يخضع لها .

ويذكر بغضه وعداؤه للدين في موضع آخر . فيقول :

الم يكن ذلك سرا أن "مصطفى كمال" لا يدين بدين ، لذلك كان شائعا بين الناس أن الخلافة ستبقى قريبا . وقد فزع الناس حين شاع أن "مصطفى كمال" رمى المصحف على رأس شيخ الإسلام الذي كان من كبار علماء الإسلام وشخصية محترمة (١١١) ويذكر المؤلف حبه وهيامه بالحضارة الغربية وما كان لها في نظره من القدسية والحرمة وكيف كانت تسيطر على عواطفه

وتتغفل فى عروقه ودمه ، فيقول :

(إن مصطفى كمال كان يتمسك إلى حد كبير بما يلقن ويقول
وبأمريه الناس ، وكان يعبد هذا الإله الجديد (الحضارة الحديثة)
بحماس ولهفة وكان له عابدا وفيا ، وقد نشر هذه الكلمة
(الحضارة) من أقصى البلاد إلى أقصاها وعندما يتحدث عن هذه
الحضارة تتقد عيناه لمعانا وإشراقا ، ويظهر على وجهه إشراق
كإشراق الصوفية عند مراقبة الجنة) .

ماذا كانت فكرته عن الحضارة وكيف كان يريد أن يرى الأمة
التركية؟

يقدر ذلك من الكلمات التالية التى يذكرها المؤلف :

(يقول مصطفى كمال لشعبه : يجب علينا أن نلبس ملابس
الشعوب المتحضرة الراقية ، وعلينا أن نبرهن للعالم أننا أمة كبيرة
راقية ، ولا نسمع لمن يجهلنا فى الشعوب الأخرى بالضحك علينا
وعلى موضتنا القديمة البالية ، نريد أن نسير مع التيار والزمن) .
(كان يتصور تركيا متطورة مصوغة فى صياغة جديدة ، ولكن
المواد الخام الإنسانية التى رزقها الشعب التركى) كانت مجموعة
بشرية تنقسم بالتشاور والكآبة ولم تتناولها يد صناع حاذق شأن

الأغمار الذين يدخلون فى الخدمة العسكرية جديدا ، بدأ يشغل وحيدا وهو دافق بالحياة لا يثق إلا بنفسه ، لا يهدأ ولا يستريح ، وقد أصبح التدخل فى شئون غيره عادة ، وكان يمثلنا بالحبيوة والقوة الفكرية) .

وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس ، والزم لبس القبعة على الرأس عوضا عنه لكي يتصنع الشعب التركى بصفة الأمم الغربية بأسرع مايمكن ، ويندمج بها اندماجا كليا ، ولا تبقى ميزة يمتاز بها الشعب التركى عنها .

استعمل القسوة النادرة والعنف البالغ فى تحقيق هذا الغرض كأنه لا إصلاح أكبر وأهم من هذا ، وكأن سعادة الشعب كانت تتوقف على ذلك ، وكأنه الشرط الأساسى لمجد تركيا وكرامتها ، وأن حرب القبعة الدموية تحولت إلى حروب صليبية .

يذكر مؤلف سيرته التركى هذه المعركة ويقول :

(وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، حتى أصدرت الحكومة أمرا لبارجة باليقا فى ميناء البحر الأسود ، وأقيمت المحاكم فى كل ناحية وحسب وفى أمكنة مختلفة للبلاد ، وبدأت تشتغل وتحكم ، أن هذه الأحكام أهاجت الشوار أكثر من

ذى قبل ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين نفخوا فى قلوب الناس روح المقاومة والحماس الدينى القوى ، أو اضطروا لأن يختفوا عن الأنظار ، ولم يستعمل رفقا ورحمة ومسامحة فى مناسبة وقرر مصطفى كمال تنفيذ المشروع وإتمامه ، ولم يكن يحتفل بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن ، يلتقى القبض على الناس وكانوا يشقون لمجرد أنهم وجدوا يسخرون من هذه الأحكام واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين سواء ...

إن كمال لم يؤنب المحاكم على إجراءاتها العنيفة ولم يتوقف فى تحطيم إرادة الشعب .

وكان يقول فى ذلك الحين فى فخار وكبرياء :

(أنا تركيا ، هزمتى هزيمة تركيا) وقد أثارت هذه الأناشيد الجنوبية أولئك الذين كانوا يعدونه منقذ تركيا وقد كسبت معركة القبعة أخيرا ، وفازت المحاكم واعترف الجمهور والشعب بهزيمتهم وقد أرسل مصطفى كمال مندوبيا من قبله من أعضاء البرلمان أديب ثروت إلى المؤتمر الإسلامى بمكة المكرمة (١٩٢٧م) ليثبت للعالم نجاحه وانتصاره وكان أديب ثروت المسلم الوحيد الذى حضر المؤتمر وهو لابس قبعة ، وقد استقبله المسلمون الآخرون بانقباض

وعلى غضاضة ..

ولقد نظر الكثيرون من الزعماء والقادة إلى مصطفى كمال نظرة إعجاب وحب وكان المرحوم مصطفى النحاس باشا من المعجبين به هنا في مصر ...

وقد ذكر الرئيس محمد أنور السادات أنه تأثر به في مرحلة مبكرة من العمر ، وأن والده كان يعلق صورته في البيت ، ويشيد بزعامته وجهاده في كل وقت ...

فهل كان (أتاتورك) يستحق كل هذا الإعجاب والحب ؟

إن ما فعله الرجل لتحرير بلاده عظيم من غير شك .

لكن ... قليل هم العظماء والزعماء الذين يشرون هذه العظمة وتلك الزعامة إلى نهاية الشوط

هتلر ... كان أكثر عظمة من أأتاتورك ... وانتهى به الأمر إلى الانتحار في قبو مظلم تحت الأرض وموسوليني فعل لإيطاليا أكثر مما فعل أأتاتورك ...

وكان مصيره الصلب على جذع شجرة في جبال الألب ا
وغيرهما كثير من المفرورين والزعماء الذين جلبوا لأوطانهم المذلة والعار والقحط والجذب !!!

لقد بدأت معرفتى تتسع حول هذه الشخصية منذ سنوات قليلة
خلت كنت فى رحلة دراسية لمدينة كامبريدج (Cambridge
City) فالتقيت هناك مصادفة ببعض الطلبة الأتراك الذين
يدرسون فى جامعتها الشهيرة ، وبعد أن تعارفنا وتعصقت بهتنا
الألفة سألت هؤلاء الإخوة قائلاً :

(ترى إلى أى مدى نجح أتاتورك ، وفى أى صف من القادة
العظام يضعه الناس والشعب ؟

وكانت مفاجأة لم أتوقعها من قبل ...

لقد صاح هؤلاء الطلبة فى وجهى بعنف .. وقالوا :

لا تقل (أتاتورك) بل قل (أخيت ترك) !!!

فعلبت من هذه اللعظة أن (أتاتورك) معناها (أبو الترك) وأن
هؤلاء الإخوة الأشقاء يرفضون الاعتراف به كأب .. بل هو لى
نظرهم أخيت الحبشة الذين نكب بهم الشعب !!!

وفى موسم الحج عام ١٣٩٠ هـ التقيت فى فندق (جدة بالاس)
- بوفد يمثل حزب السلامة الوطنى ، وسمعت من هؤلاء النواب
والقادة مالا يكتب ، وكشفوا النقاب عن كثير من حياة (الذئب)
أو (الشعلب) !

لقد ذكر الأستاذ / عبدالمحميد عبدالغنى فى مقال له نشر
بأخبار اليوم (١)

(فى الواقع إن حركته - أى حركة أتاتورك - لم تكن حركة
عداء للدين الإسلامى ، ولاحركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن
العالم الإسلامى ؛ بل كانت حركته حركة قومية بحته ترمى إلى
النهوض بتركيا من القيود بتخليصها من القيود التى تكبل
أيديها ، وتقيد خطاها باسم الخلافة الإسلامية ، وطقوسها
ومراسمها (وقى المقال نفسه .. وبعد أسطر قليلة . وفى الصفحة
نفسها يقول الكاتب ما نصه :

(قرر أتاتورك أن يستبدل بالحروف العربية الحروف اللاتينية
حتى فى طبع المصحف الشريف ، وكذلك أسرف أتاتورك فى
قوانين الأحوال الشخصية إلى دائرة الخروج على القواعد الإسلامية
المقررة !!

فقد حرم القانون تعدد الزوجات تحريما باتا ١٢ .. وجعل للقضاء
وحده حق الفصل فى طلب الطلاق ؛ وعدل قواعد الميراث فسوى
بين الابن والبت ١١. ورفع عن المرأة الحجاب .. ١

(١) أخبار اليوم ١٩٧٦/٩/٢٥ ..

واشتط وأسرف فدخل دائرة محرمة ؟! .. حيث أباح للمرأة المسلمة أن تتزوج من تشاء من أى دين كان ؟! وقرر إلغاؤ الأوقاف ووزارة الأوقاف.. ؟!

هذا هو ما فعل (أتاتورك) كما ذكر الكاتب بخط يده ، فكيف يستقيم ما كتبه ألا ، مع ذكره ثانيا ؟

وكيف يقول الكاتب قبل ذلك بأن حركته لم تكن حركة عداء للدين الإسلامى ، ولا حركة انفصال اجتماعى أو فكرى عن العالم الإسلامى ؟

وإذا لم يكن هذا هو الإلحاد والردة ، والانفصال والقطيعة فهل كان ينتظر الكاتب أن يقوم صاحبنا بهدم الكعبة وتخريب المسجد النبوى فى المدينة ؟!

إن (أتاتورك) لم يكن ينطق بلسانه ، أو يفكر بعقله أو يعمل لحساب شعبه ووطنه ، لقد كان آلة من آلات التدمير التى صنعها الغرب لحسابه ، وكان لعبة من تلك اللعب التى تجيد تشغيلها الجمعيات السرية لحساب الصليبية واليهودية وقد نشأ أتاتورك وعاش فى أحضان جمعية (الاتحاد والشرقى) التى لعبت أخطر الأدوار لتدمير دولة الخلافة .

وكانت هذه الجمعية وأعضائها من أكبر المخربين للدولة ...
غير أننا لا نلوم هذا المؤلف أو ذاك حين يكتب ، فالكاتب
والقارئ يكتب ويقرأ ما يملئ عليه أو يفرض ، لأن أكثر كتابنا
ومفكرينا من تلامذة الغرب الذي يرى في الإسلام عبوه اللدود
الأوحد ، ولم يكن مصطفى كمال إلا واحدا من هؤلاء التلاميذ في
الروح والمشرّب . ١

لقد دعا أتاتورك بقوة إلى إلغاء الشريعة ، وإقصاء قضاء
المحاكم الدينية ...

وقد اقتصح بأن كفاحه يجب أن يوجهه إلى الدين فإنه منافسه
الأكبر ! وكان يعتقد من صفوه أنه لا حاجة إلى الله !!

وكان في آخر عهده يرفع قبضته ويشير بها إلى السماء ساخرا
مهيدا ، وكان يرى أن الإسلام إنما ظل عاملا هداما في الماضي ،
وأنه جنى على تركيا جناية كبيرة ، وألحق بها خسائر فادحة وكان
يقول في أكثر الأحيان إن قوة العقل وقوة الإرادة تتغلبان على قوة
الإله .. !!

وكان مصمما على سن القانون لتحريم الدين في تركيا ولو
احتاج ذلك إلى استخدام القوة ، وإلى الخدعة والتضليل .

كان يهض الإسلام والعقيدة الراسخة بغضاً شديداً ، ولم يكن سرا أن (مصطفى كمال) لا يدين يدين ، وقد لزع الناس حين شاع أن (مصطفى كمال) رمى بالمصحف على رأس شيخ الإسلام !!!
وقد قرر منع الطربوش وغطاء الرأس وألزم لبس القبعة واستعمل القسوة النادرة والعنف فى هذا الغرض كأنه لا إصلاح أكبر وأهم من هذا ..

وقد حدثت ثورات واضطرابات عظيمة هددت سلامة تركيا ، وأقيمت محاكم فى كل ناحية ، وأعدم رجال الطبقة الدينية الذين تفخوا فى قلوب الناس روح المقاومة والحماس الدينى ..
ولم يكن يعبأ بالوسائل والطرق التى يستخدمها فى هذا الشأن .. يلقى القبض على الناس وكانوا يشنقون لمجرد أنهم وجدوا يسخرون من هذه الأحكام ، واستهدف لذلك الأبرياء والمجرمين على السواء .



ولما ابتدأت مفاوضات مؤتمر لوزان لعقد صلح بين المتحاربين اشترطت إنجلترا على تركيا أنها لن تنسحب من أراضيها إلا بعد تنفيذ الشروط التالية : -

أ- إلغاء الخلافة الإسلامية . وطرد الخليفة من تركيا ومصادرة أمواله .

ب - أن تتعهد تركيا بإخماد كل حركة يقوم بها أنصار الخلافة.

ج - أن تقطع تركيا صلتها بالإسلام .

د - أن تختار لها دستورا مدنيا بدلا من دستورها المستمد من أحكام الإسلام .

فنفذ (كمال أتاتورك) الشروط السابقة ، فانسحبت الدول

المحتلة من تركيا . !!!

ولما وقف (كرزون) وزير خارجية إنجلترا في مجلس العموم البريطاني يستعرض ما جرى مع تركيا ، احتج بعض النواب الإنجليز بعنف على (كرزون) واستغفروا كيف اعترفت إنجلترا باستقلال تركيا ، التي يمكن أن تجمع حولها الدول الإسلامية مرة أخرى وتهجم على الغرب.

فأجاب (كرزون) :

لقد قضينا على تركيا التي لن تقوم لها قائمة بعد اليوم ...
لأننا قضينا على قوتها المتمثلة في أمرين :

الإسلام والخلافة !!!

فصفت النواب الإنجليز كلهم وسكتت المعارضة ... !
ومن الوثائق السرية التي نشرت مؤخرا وثيقة موقعة باسم وزير
المستعمرات البريطاني واسمه (اورسجرو) .
تقول هذه الوثيقة :-

إن الحرب علمتنا أن الوحدة الإسلامية هي الخطر الأعظم الذي
يجب أن نحاربه وأن نقاومه .. !
وليست بريطانيا وحدها هي التي تلتزم بذلك بل تقف معها
فرنسا وكل دول أوروبا .
ومن دواعي فرحتنا أن الخلافة الإسلامية قد زالت ! ونتمنى أن
يكون ذلك بغير رجعة !.

إن سياستنا تستهدف دائما منع قيام الوحدة الإسلامية أو
التضامن الإسلامي ويجب أن تبقى هذه السياسة كذلك (١) . !!
إن سياستنا في الحرب العالمية الأولى - مع العرب - لم يكن
الغرض منها القضاء على هذه الخلافة فقط بل والعمل على أحياء
التعرات القومية والعنصرية في مصر وتركيا وغيرها . !!

* * *

(١) تاريخ الوثيقة ١٩٣٨/١/٩ ..

وهذا هو ما فعله (أتاتورك) ونقذه بالكلمة وبالحرَف !!!

يقول العلامة محمد إقبال :- (إن كمال الذي تغنى بالتجديد في حياة تركيا ودعا إلى محو كل أثر قديم وتراث قديم جهل أن الكعبة لا تجدد ولا تعود إلى الحياة والنشاط إذا جلبت لها من أوروبا أصنام جديدة .. إن زعيم تركيا لا يملك اليوم أغنية جديدة إنما هي كلها أغنان مرددة معادة تتغنى بها أوروبا من زمان ، إن الجديد عنده هو القديم الأوروبي الذي أكل عليه الدهر وشرب ، ليس في صدره نفس جديد وليس في ضميره عالم حديث فاضطر إلى أن يتجاوب مع العالم الأوروبي المعاصر ، إنه لم يستطع أن يقاوم وهج العالم الحديث فذاب مثل الشمعة ولقد شخصته (١) .

* * *

في كتاب « كلية ودمنة » قال الملك دوشليم ليدها الفليسوف :
أخبرني عن يدع عمله الذي يلقى به ويطلب سواه فلا يقدر عليه .

فيراجع الذي كان في يده من عمله فيفوته ويبقى حيران متلذدا
- أي مترددا .

(٢) بال جهل ..

فقال الفيلسوف :

زعموا أن « غرابا » رأى « حجلة » فأعجبته مشيتها فطمع في تعلمها .. فراض نفسه فلم يقدر على إحكامها .. فانصرف (عاد) إلى مشيته التي كان عليها فلم يحسن .. فبقى حيران مترددا لم يدرك ما طلب ، ولم يحسن لما كان في يده الحفظ ...!!

ثم قال الفيلسوف للملك :

فالولاية في قلة تعاهدهم للرعية في هذا وأشباهه ألوم وأسوأ تدبيرا ، لأن تنقل الناس من بعض المنازل إلى بعض فيه صعوبة ومشقة شديدة ، ثم إن الأشياء في ذلك تجري على منازل حتى تنتهي إلى الخطر الجسيم من مضادة الملك في ملكه (١) ..

* * *

ولم يكن « أتاتورك » إلا « غرابا » في دنيا الزعامة .. ولم تكن « أوروبا » أو « الحجلة » التي تعلق بها إلا نكبة عليه إلى يوم القيامة !

إن المأساة هنا لا تكمن فقط في محاربه للدين والعقيدة ، لقد ترك الرجل تركيا من ورانه عائلة تعيش في كنف غيرها فكرا

(١) كلية ودمنة ط - دار الشروق - بيروت - ١٣٧٢ هـ - ١٩٧٢ م ..

وسياسة ولا تزال تركيا - حتى يومنا هذا - دولة متخلفة بمقاييس التقدم والحضارة ولم يعترف بها الغرب كدولة أوروبية ، وكل علاقاتها مع أوروبا لا تزيد عن علاقاتها بأية دولة في البحر الكاريبي ، أو المحيط الهندي ، باستثناء تلك الأحلاف التي جعلت من تركيا سندا للغرب في وقت الشدة وغمة على الشعب في أوقات السلام والهدنة .. وكما يقول المرحوم العلامة إقبال :
« إنكم أيها الأتراك أخذتم جرار أوروبا وصحبتها ، مع أنكم كنتم بفضل الإسلام على مقربة من النجوم والكواكب .. » !!!



« والجنرالات » الذين يحكمون تركيا الآن صورة طبق الأصل
« من شيطانهم الأكبر .. لقد زرعهم أتانوركا في أحشاء
« الشعب » بطريقة غير شرعية !..

إنهم نسخة متكررة من لقطاء « التاريخ » الذي لا يعرف لهم أصل ولا تعرف لهم هوية ... !!!

وقريبا يكشف « الستار » عن حقيقة هؤلاء الجنرالات الذين فقدوا نور البصيرة والبصر وتلطخت جباههم وأيديهم بدماء الأبرياء من أبناء الشعب التركي البطل .

إن «أتاتورك» لن يفيدهم شيئا يوم الحساب الذى أصبح قريبا
وإن أوروبا أو «الغرب» لن يحميهم من نهايتهم السوداء أبدا ..
إن هؤلاء الجنرالات لا يعوون دروس التاريخ جيدا .. إن تاريخ
سنة قرون من الجهاد فى سبيل الله لن يذهب عبثا .. والشعب
التركى لن يقبل أن يضيع تاريخه سدى ..

فى «وصيته» إلى ابنه كتب الأمير «عثمان» مؤسس الدولة
العثمانية إلى ولده وولى عهده يقول له : "يا بنى إياك أن تشتغل
بشئ لم يأمر به الله رب العالمين ، وإذا واجهتك فى الحكم معضلة
فاتخذ من مشورة علماء الدين موقفا ..

يا بنى أحط من أطاعك بالإعزاز ، وأنعم على الجنود ، ولا
يغرنك الشيطان بجندك وبمالك ، وإياك أن تعتمد عن أهل
الشرعة.

يا بنى إنك تعلم أن غايتنا هى إرضاء الله رب العالمين ، وأن
بالجهاد يعم نور ديننا كل الأفاق ، فتحدث مرضاة الله جل جلاله .
يا بنى .. لنا من هؤلاء الذين يقيمون الحروب لشهوة حكم
أو سيطرة أفراد فنحن بالإسلام نحيا وللإسلام نموت ، وهذا يا
ولدى ما أنت أهل له " !!..

غير أن الجهاد ضد هذا التجديف والهرطقة من الجنرالات كان قد بدأ في السنوات الأولى من حكم أتاتورك .. كان هناك شيخ اسمه «بديع الزمان» وقد حضر بديع الزمان إلى «إسطنبول» من شرق تركيا في عهد السلطان عبد الحميد يطلب فتح المدارس ، وإنشاء جامعة في «ديار بكر» غير أن الأحداث عاجلته وخلع السلطان ، ثم كانت الحرب العالمية الأولى فتطوع للقتال ، ثم أسره الروس ونفوه إلى «سبيرييا» وتمكن هناك من الفرار والعودة إلى تركيا التي كانت قد سقطت في أيدي القزاة ، فانضم إلى حركة مصطفى كمال التي كانت تستهدف في هذا الوقت تحرير الوطن وإنقاذه من يد الأعداء ، ثم اختلف بعد ذلك مع «أتاتورك» حين ظهر الانحراف ، فنته السلطة إلى غرب البلاد فظل ما بين نفى وسجن وتحديد إقامة من سنة ١٩٢٨ إلى سنة ١٩٥٠ ، وخلال تلك الفترة ألف مائة وثلاثين كتابا سماها «رسائل النور» شرح فيها الدين بأسلوب جديد استهوى الشباب المثقف .. فتناقل الناس رسائله نسخا باليد ، وأصبح قراء الرسائل يسمون طلاب «رسائل النور» أو جماعة «نورجو» وهي جماعة تضم على الأقل ثلاثة ملايين شاب تركي .

فى تاريخنا الإسلامى .. كانت هناك ثلاث حركات تكاد تكون متشابهة بل تكاد تكون متطابقة .. كان لكل حركة من هذه الحركات دورها وأثرها فى الحفاظ على عقيدة الأمة ، وعلى بقائها صافية نقية ، وعلى تجنبها مخاطر التفتت والذوبان فى عقائد أخرى زائفة ، أو السقوط فى شراك الحضارة الوثنية القائمة .

أقدم هذه الحركات الثلاث هى حركة الإمام المجدد المجاهد الزاهد الشيخ أحمد بن عبد الأحد الفاروقى السرهندى الملقب بمجدد الألف الثانى للهجرة فى الهند .

وثانى هذه الحركات هى حركة الإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس فى الجزائر .

وثالث هذه الحركات هى حركة الإمام المجاهد بديع الزمان سعيد النورسى فى تركيا .

كانت حركة «ابن باديس» تجسيدا للمقاومة والثورة ضد الاستعمار الفرنسى الذى حاول طمس وتغيير كل ما هو إسلامى أو عربى فى الجزائر .

ألم يعلن الكاردينال الفرنسى «لافيجرى» أن الجزائر لم تعد مسلمة .. وأن الجزائر أصبحت مهذا للمسيحية ، وأن أجراس

الكائنات يجب أن تعلن لتحل مكان الأذان في أى مسجد أو زاوية...!!

وكما يخرج اللبن من بين فرث ودم ، ويطلع الفجر من بين ثنايا
الظلام والليل استيقظت الجزائر كلها على صوت الشيخ عبد
الحמיד بن باديس وهو يعلن بأعلى .. صوت :

شعب الجزائر مسلم	والى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله	أو قال مات فقد كذب
أو رام إدماجا له	رام المحال من الطلب

وقد سلك فى ذلك طريق التعليم والتربية ، والوعظ والدعوة ،
والنشر والصحافة ..

كانت حركة الشيخ بن باديس معاصرة لحركة الشيخ سعيد ،
فالشيخ سعيد ولد فى عام ١٢٩٣هـ بينما ولد الشيخ بن باديس
فى عام ١٣٠٨هـ .. أى أن الشيخ سعيد أكبر من باديس بحوالى
خمس عشرة عاما ..

وبينما تولى الشيخ عبدالحמיד بن باديس مبكرا .. أى فى عام
١٣٥٩هـ فقد تولى الشيخ سعيد متأخرا أى عام ١٣٧٩هـ ..
غير أننا نرى فى حركة الإمام « أحمد السرهندى » تطابقا كاملا

مع حركة الإمام سعيد النورسى .. من حيث الظروف التى نشأت فيها والمشكلات التى واجهتها . والنتيجة التى انتهت إليها كل منهما ..

فالإمام «السرهندي» نشأ فى عصر أسوأ ملوك الإسلام فى الهند قاطبة .. فى عصر الملك «أكبر» ..

ذلك الفر الذى أراد أن يقضى على الإسلام فى الهند قضا . مبرما وإلى الأبد .. !!

وأن يضع ديناً جديداً مقتبساً من شعائر الوثنية ورسومها بتخللها شئ من تعاليم الإسلام وتوجيهاته .. والذى حملته على اقتراف هذه الجريمة الشنعاء حرصه على بقاء الملك والتعجب إلى أهالى البلاد من الهنادك ، وزعمه الفاسد بأن هذا الصنيع يقر به إليهم ويرفع مقامه فى أعينهم ويحله محل الصدارة من قلوبهم .. فاختار لذلك طرقاً عديدة ومناهج متشعبة .

منها تزوجه من بنات أمراء الهنادك مع بقائهن على عقائدهن وتسكنهن بدياناتهن وأدانهن لشعائرهن فى القصر الملكى .

ومنها تخلفه بأخلاق الرثيين وعاداتهم وتقليدهم فى ملايسهم . وقد بلغ منه الكره والعداء للإسلام أن كان يسمى الخدم والفراشين

بأسماء النبي ﷺ (أحمد ومحمد) .. تحقيرا لشأن الرسالة وغطا
من كرامتها .

وكذلك استبدل بالتقويم الهجرى الإسلامى تقويما جديدا سماه
التقويم الإلهى مبتدئ بسنة جلوسه على سرير الملك .

ومن بدعه أنه أحل الخمر والقمار وغيرهما من الخبائث
والمنكرات وأعانه على ذلك علماء السوء فى عصره من عبيد
الدينار والدرهم ، فزينوا له ما سوله له عقله المعتوه ، وجعلوه
بستيقن من نفسه العصمة وتخوله الحق فى أن يشرع من القانون
ما يشاء ويضع من الأحكام ما يريد إلى غير ذلك من الأباطيل
والخرعبلات التى تضيق هذه العجالة عن سردها .

وجملة القول إن هذه البدع والمنكرات ما كانت إلا مقدمة لما
كان عقد العزم عليه من وضع دين جديد يتسخ به دين الله الخالد
بزعمه ظنا منه ومن خواص أشياعه أن هذا الدين (الإسلام) الذى
جاء به محمد العربى - و «البدوى» حسب تعبير أولئك الزنادقة ،
قد مضى عليه ألف سنة ، والعصر الجديد يوشئ فى حاجة إلى دين
جديد يوافق ميول أهل العصر وأهواهم ونزعاتهم .. فأعلنوا
دينهم الجديد وسموه «الدين الإلهى» .

وكان شعارهم في ذلك «الله أكبر» يريدون به أن هذا الملك الضليل المعتوه (أكبر) هو الله... ١٩ (١)

فكان من أثر كل ذلك أن أصبح عصر هذا الملك المأفون (٩٦٤ - ١٠١٤هـ) عصر بلاء وصحنة للإسلام والمسلمين في هذه الديار اتسع فيه الخرق على الراقع وجاوز السيل الزمى .. فاضطهد من اضطهد من عباد الله وحبس ، واعتقل من اعتقل .. إلا أنه بما يؤلم القلب ويدمع العين أنه قد زلت في هذه الفتنة العمياء أقدام الخاصة والعامة ولم ينج من شرها حتى من كان يعد من كبار العلماء الفقهاء في ذلك العصر ، فلم يثبت في تلك المحنة الكبرى إلا عدد قليل منهم جدا .. أما جمهور العلماء والعدد الغالب منهم ، فقد استسلموا لأمر الملك وجبروت السلطان القاهر ولم يتخرجوا من التوقيع على «المحضر» الذي ادعى للملك العصمة وخوله الحق في وضع الشريعة .

لما آل الأمر إلى ما تقدم بيانه من غربة الإسلام في هذه البلاد ، والتضييق على المسلمين واضطهادهم ، وأصبح مثل القابض على الدين من بينهم كمثل القابض على الجمر .

(١) كان من أشد المعجبين بهذا الملك المعتوه - هنا في مصر - الهالك ليرس عوض ١٤

وقف الرجل الذي قبض الله أن يقف في وجه هذا الطاغية
وأنصاره الضالين المضلين ، ويرفع لواء أفضل الجهاد ، ويصدع
بكلمة الحق ويكبح جماح غوايتهم ، ويقضى على بدعهم وشورهم
قضاء مبرما ، فقام الإمام المجاهد العالم الزاهد الشيخ أحمد بن
عبدالأحد الفاروقى السرهندى الملقب بمجدد ألف الثانى للهجرة
بالمجدارة والاستحقاق ، وشمر عن أذباله لمقاومة الفتنة الأكبرية ورد
مكايد أعداء الإسلام ، وتهذيب نفوس أهل الغواية وجاهد في
ذلك جهادا موفقا مبرورا حتى ألحقه الله في مساعيه ، وقضى
قضاء مبرما على فتنة هذا الملك المعتوه وجواريه ..



كانت انتخابات سنة ١٩٥٠ معلما من معالم التحول في تاريخ
تركيا الحديث وبعبارة - أكثر تحديدا ودقة - بداية سقوط
« أتاتورك » في أعين الشعب التركى الشقيق .. ففى هذه
الانتخابات نزل الحزب الديمقراطى ببرنامج عجيب يتلخص فى
عدة نقاط :

أولها : عودة الأذان باللغة العربية ..

وثانيها : السماح للأتراك بالحج ..

وثالثها : إعادة تدريس الدين بالمدارس ..

ورابعها : إعادة «أبا صوفيا» مسجدنا كما كان ..

وكانت النتيجة مذهلة .. فقد حصل الحزب الديمقراطي على ثلاثمائة وثمانية عشر مقعدا ، وسقط حزب «أتاتورك» الذي لم يحصل على أكثر من اثنين وثلاثين مقعدا .. واستجاب «عدنان مندريس» زعيم الحزب الديمقراطي لمطالب الشعب على الفور .. فعقد أول جلسة لمجلس الوزراء في غرة رمضان .. وأعاد «الأذان» باللغة العربية كما كان .. وبدأ تعمير المساجد وأصدرت الحكومة قانونا تستعيد به المساجد التي ياعها «أتاتورك» ..! .. وتقرر تدريس الدين في المدارس .. وفتحت مدرستان للأئمة والخطباء ..! .. كما تقرر فتح خمس وثلاثين ألف مدرسة لتحفيظ القرآن الكريم ..! .. وقد ذكر المراسلون ووكالات الأنباء أنه في اليوم الذي تم فيه إعلان الأذان باللغة العربية خرج الرجال والنساء إلى الشوارع ياكين من الفرحة قائلين :

آذان عربى شريف .. آذان عربى شريف ..! ..

وقد كتبت «بارى ماثش» الفرنسية حول مظاهر الصحوة الإسلامية وتحذير الغرب منها قالت :

« من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي ومن إفريقيا
السوداء إلى حدود سيبيريا بدأ صوت الإسلام يرفع راية الإسلام
في كل مكان ، وراية الإسلام بدأت تخفق من جديد بعد طول
غيباب في بعض الأماكن بينما هي تستعد للارتفاع في مناطق
أخرى .. فما هي الاحتباطات التي ينبغي على الدول الغربية أن
تتخذها في مواجهة ذلك ؟ .. وكيف نستطيع أن ندرك حقيقة ما
يجري لكي لا نفاجأ بالأحداث » ١٢ ..

إن الأجواء مهيأة لحدوث الصحو الحقيقية التي تتجوز
باستئناف الحياة الإسلامية من خلال صياغة نظام إسلامي بديل
لنظم الوضعية المعاصرة ، وبحيث يستوعب ضرورات الحياة
الحديثة ومستجداتها ، ويتلمس لها الحلول الشرعية عن طريق فتح
باب الاجتهاد سواء من قبل الفقهاء كأفراد أو من قبل المجامع
الفقهية في العواصم الإسلامية ..

وإذا كانت الحقبة الأخيرة قد أكدت انتصار الإسلام في معركة
التحدي لكل من الرأسمالية العلمانية والشيوعية الإلحادية ،
بدليل الفضل الذي نلعه في الحضارتين الماديتين الشرقية والغربية
فإن الإسلام يؤكد لنا جدارته للعودة إلى حياتنا من خلال صموده

فى كل المعارك التى تعرض لمقوضها حتى الآن ..!!

وكما يقول الكاتب البريطانى والصحافى المعروف «إدرارد مورتير» أن مصطفى كمال بالرغم من كل الإجراءات التى اتخذها لتحديث وعلمنة تركيا إلا أنه لم يستطع قتل الشعور الدينى الجارف داخل قلوب ومشاعر غالبية الشعب التركى رغم المحطرات الذى مارسه «الكماليون» فى تركيا طيلة السنوات الستين الماضية .. ويقول : "إن شعورا جارفا وقويا للعودة للتقاليد والنظم الإسلامية قد نما بين مختلف طبقات الشعب التركى" ..

لقد ذهب مراسل جريدة «التايمز» The Times إلى أحد البنوك التركية فشاهد هذا المشهد : لدى إحدى مناضد الصرف ، وعدد من موظفى المصرف يقبلون فى جدال عنيف على سيدة كهلة تدل ملابسها الظاهرة على أنها من الفلاحين ..

وكانت السيدة تصيح بلهجة تركية حازمة :

«كلا أبدا .. اصنعوا بالنقود ما بدا لكم ولا تعطونى إياها» ..

ألم يرد فى كتاب الله أن أكل الربا حرام مهلك ...!!!

ودنوت منهم مأخوذا بهذا المشهد الرائع .. وقام من بينهم محمد «بك» وهو تركى من أبناء الجيل الحديث ذى الصبغة

الأوروبية الخالصة ولا يكاد يظن الناظر إليه في أي مكان إلا أنه غربي . وقد عهدته ياسنا رزينا - قد علاه خليط عجيب من المهرج - فأقبل على مبينا أنها قروية لها مع المصرف حساب . وهو أمر أصبح مألوفاً نتيجة الإثراء الذي طرأ منذ أعوام على كثير من الملاحين الأتراك .. ثم روى لي كذلك أنها (مسلعة شديدة التدخين شأن سائر الفلاحين) وأنها استحوطت خمسين ليرة فائدة على ودائعها لكنها تأبى إياه قاطعاً أن تمس شيئاً منها لأن القرآن ينهى عن أخذ الربا) .. ١١

أمعنت النظر فيها . فإذا هي ضاربة على رأسها بالحمار المعهود سائرة به ذقتها ومسدة إياه على أسفل الجبهة .. وهذا الشرشف - كما يسمونه - هو البقية الباقية من سالف الحجاب في تركيا .. وكانت ترتدى ثياباً فاقعة الألوان وسراويل واسعة فضفاضة مما يعرفونه باسم «الشلقاز» ..

ولبتت تتأمل في كشف رصيدها بكثير من الريبة .. ثم انبرت فجأة مشيرة بهناتها - إشارة اتهام - إلى جملة من الأرقام أضيفت إلى الحساب . معلنة بحزم فاصل :

« هذا هو » القائن ولن آخذه أبداً .. ١٢

يقول مراسل التايمز (The Times) : لقد أيقنت من هذه اللحظة أن الإسلام في تركيا يستعصى على الموت .. وأن كل ما فعله «أتاتورك» تلاشى أمامى فى غمضة عين ..!!
إن رأس الأمر كله هو الدين - كما قال مولانا محمد على -
فى محاكمته الشهيرة فى مدينة كراتشى - والمرء الذى لم يبدأ حياته به لا يتمتع بحياة حقيقية ولا يشعر بالمعنى الحقيقى لهذه الحياة ..!

إن واجبه الأول وولاء الأوحى يجب أن يكون لله .. قد يتمتع ببعض التكريم ، وقد ينال شيشا من الولاء ، غير أن هذا التكريم وهذا الولاء بمقارنته بالولاء والإخلاص لله بذوى كالورقة التى يلفحها الالهب المشبوب فتذروها الرياح الأربع .. أو تلوث يد المسك بها بالسواد ..!!

إن الإيمان لا يموت بالقتل !! .. وإن قطرة واحدة من دم شهيد كافية لإشعال النار فى الجليد والثلج .. وفى تركيا اليوم نداء جديد يتردد صده مع كل فجر .. إنه نداء الإيمان الذى اتكشفت داخل الصدور فترة من الوقت فمدارس القرآن تنتشر وتزداد ، ومجالس العلم تعود إلى سابق عهدها فى المساجد ، وقد تسامت

جريدة «لوموند» الفرنسية عن هذه الظاهرة الجديدة في تركيا
فقلت : ترى هل استيقظ الرجل الميت !! ..

نعم قد استيقظ !! فالشعب الذي حمل لواء الجهاد ستة قرون
دفاعا عن الإسلام لا يمكن أن يموت والأمة التي من رجالها رجال
كمحمد الفاتح وسليمان القانوني وسعيد النورسي ... لا يمكن أن
تقهر .. لكن .. هل يقف الإسلام عقبة في طريق التقدم ؟ .. وهل
الدين هو سبب تأخر المسلمين بين الأمم ؟

بقول الشيخ محمد رشيد رضا رحمه الله مجيبا على هذا
السؤال : كتب إلى تلميذي المرشد الشيخ محمد بسيوني عمران ..
إمام مهراجا جزيرة سمبس .. بورينو (إندونيسيا) .. كتابا يقترح
فيه على أخيها المجاهد (أمير البيان) أن يكتب للنار مقالا بقلبه
السيال يبين فيه أسباب ضعف المسلمين في هذا العصر وأسباب
قوة غيرهم من اليابان والإلرنج ..

وقال في كتابه :

إنه قرأ ما كتبه في (النار) وتفسيره من بيان الأسباب في
الأمرين وما كتبه الأستاذ الإمام محمد عبده في مقالات (الإسلام
والنصرانية مع العلم والمثنية) في الموضوع نفسه ، وأنه يريد

برسالته أن يكتب ذلك أمير البيان شكيب أرسلان بقلمه ..

يقول الشيخ محمد بسيوني عمران في رسالته :

ما أسباب ما صار إليه المسلمون من الضعف والانحطاط في

الأمر الدينية والدنيوية معاً ؟ رغم ما يقول الله في كتابه :

﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾ .. فأين هي عزة المؤمنين

الآن ؟ .. وهل يصح لمؤمن أن يدعى أنه عزيز ؟ .. ويتسائل أيضا :

ما الأسباب التي ارتقى بها الأوروبيون واليابانيون ارتقاءً هائلاً ؟

وهل يمكن أن يكون المسلمون أمثالهم في هذا الارتقاء مع

المحافظة على دينهم وعقيدتهم ؟

هذه هي الأسئلة التي وضع بشأنها هذا الكتاب ^(١) .. وكان

ذلك منذ حوالي نصف قرن تقريباً ، وقبل أن تبدأ الحرب العالمية

الثانية بحوالي عشر سنوات .. وبعد أن تقاسم العالم الإسلامي

والعربي قوى الاستعمار الغربية وبدأت تمارس فيه أحقادها الدفينة

ومؤامراتها الدنيئة .. كان العالم العربي في هذه الآونة شراذم ممزقة

والمسلمون يتألمون في كل أمة .. فقد أجهضت دولة الخلافة ووجهت

إلى الإسلام طعنة قاتلة وخرجت من الجحور والشقوق عقارب

(١) بقصد كتاب « لماذا تأخر المسلمون » الذي كتبه الأمير شكيب أرسلان ..

البغضاء والكراهية .. وارتفعت هنا وهناك شعارات تطالب
بالفصل بين الدين والدولة ووقف أتاتورك يعلن إلى العالم تبرأه
من الإسلام والعروبة ..

وفي هذا الجو الخانق يصدر هذا الكتاب ويجي جواباً على
تساؤل أذهان الكثيرين من أبناء العالم الإسلامي الذين تكاثفت
من حولهم الظلمة .. وأحاط بهم بأس قاتل تموت فيه الهممة ..

لكن من هو أولاً المرحوم الأمير شكيب أرسلان ؟

لقد ولد الأمير شكيب في بيت «أرسلان» العريق في لبنان في
شهر رمضان المبارك سنة ١٢٨٦ هـ وتعلم مبادئ القراءة والكتابة
على يد معلم خاص حسبما كانت عليه عادة السراة في ذلك الحين،
ثم انتقل إلى التعلم على يد أستاذ آخر فعفظ جانباً من القرآن
الكريم وحين بلغ العاشرة من عمره دخل مدرسة الحكمة في بيروت
وتلقى فيها دروس العربية على يد الشيخ عبد الله البستاني ..

وفي مدرسة الحكمة تعلم اللغة الفرنسية والتركية وظهرت
تباشير شاعريته وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وكان في سن
دراسه مبرزاً على أقرانه وما هي إلا سنوات قليلة حتى رحل إلى
دمشق وبدأ يجالس المشاهير ويتعرف عليهم من أمثال : الشيخ

محمد عبده ، وسعد زغلول ، والشيخ على البستاني ، والشيخ
على يوسف صاحب جريدة «المؤيد» ، وحفنى ناصف ، وأحمد زكى
باشا ، وطلق رحمه الله وهو فى سن الشباب ينشئ علاقات
شخصية وأدبية مع أعلام عصره أمثال الشاعر إسماعيل باشا
صبرى ، وأمير الشعراء أحمد شوقى ، والبارودى ، وعبد الله باشا
فكرى ..

وتقلبت به السنون شاعرا ، وثائرا ، ومصلحا ، وبخاتة لغويا ،
وزعيما سياسيا ، ومترجما ومحققا ، وهو فى كل ذلك لسان حال
العروبة الصادق ، ورجل العقيدة الذى لا يخاف فى الله لومة لائم .
لقى الأمير شكيب أرسلان ربه فى الخامس عشر من محرم
١٣٦٦ هـ / ديسمبر ١٩٤٦م فأفل نجم الذى أضاء دنيا العرب
وأغمد ذلك السيف طالما دافع عن قضايا العروبة والإسلام .
وقد لاقى هذا الكتاب الذى دهبه براع الأمير شكيب أرسلان
بقلمه - رواجاً فى كل أنحاء العالم الإسلامى - وكان أشبه بعود
الثقاب فى الظلام الدامس المدلهم وقد قوبل هذا الكتاب بمعارضة
ومطاردة من الدوائر الاستعمارية .. وقابلته فرنسا بحفاوة شديدة
فمنعت دخوله بلاد شمال إفريقيا وحرمت قراءته على الناس كأنه
وباء ..

وفرضت العقوبات الصارمة على كل من يوجد عنده هذا الكتاب .. يقول الأمير شكيب :

لقد ظن كثير من المسلمين أنهم مسلمون بمجرد الصلاة والصيام وكل ما لا يكلفهم بذل دم أو مال .. وانتظروا بذلك النصر من الله .. وليس الأمر كذلك فإن فرائض الإسلام لا تنحصر في الصلاة والصيام ولا في الدعاء والاستغفار .. كيف يقبل الدعاء بمن قعدوا وتخلقوا ، وبخلوا وما بذلوا .. فكيف يطمع المسلمون أن تكون لهم منزلة الأوروبيين في البسطة والقوة وهم مقصرون عنهم بمراحل في الإيثار والتضحية ؟

ويقول الأمير شكيب .. يقولون :

لماذا سادت الأمة الإنجليزية هذه السيادة على العالم ؟
ونقول لهم جوابا عن ذلك : إنها سادت بالأخلاق والمبادئ الوطنية العالية .. إنني أعرف رجلا إنجليزيا كان بأمر خادمه أن يشتري له الحوائج اللازمة لبيته يوميا من دكان رجل إنجليزي في البلدة التي يقيم فيها .. فجاءه الخادم يوما بجداول حساب وفر عليه به عشرين جنيها في الشهر فسأله الإنجليزي : كيف أمكتك هذا التوفير ؟

فقال له الخادم : تركنا دكان الإنجليزى الذى كنا نشترى منه
إلى دكان آخر يبيع بسعر أرخص .. فقال له الإنجليزى :
ارجع إلى الدكان الأول الذى كنا نشترى منه .. فقال الخادم :
ولو كان ذلك يكلفنا عشرين جنيها زيادة .. ؟

قال الإنجليزى : ولو كلفنا عشرين جنيها أخرى ..
إن العطاء والتضحية والبذل هى التى تصنع تاريخ الرجال
والأمم لقد قام أهل الريف المغربى فى وجه الدولة الإسبانية فطردوا
جيوشا بعد أن أبادوا فى معركة واحدة ٢٦ ٠٠٠ (ستة وعشرون
ألفا) من الإسبان وغنموا منهم ١٧٠ صدفعا مع أن أهل الريف
جميعهم لم يكونوا يزيدون فى هذا الوقت عن ثمانمائة ألف رجل
وامرأة وطفل وكان عدد سكان إسبانيا فى ذلك الحين يقارب اثنين
وعشرين مليوناً ..

إن المبالغ الزهيدة التى جمعها المسلمون لنصرة المجاهدين فى
برقة وطرابلس هى التى أوقعت بإيطاليا أفدح الخسائر وكبدت
ميزانيتها مئات الملايين من الجنيهات .. ففى وقعة واحدة هى وقعة
« القويبات » على باب « بنغازى » ثبت مائة وخمسون مجاهدا
عربيا لثلاثة آلاف جندي إيطالى من الفجر إلى غروب الشمس

حتى انقرضوا جميعا وبينما كان المسلمون فى حزن لوفاة هؤلاء
المجاهدين جاءت الأخبار بأن إيطاليا فقدت فى هذه المعركة وحدها
١٥٠٠ جندي .. وأصيب سبعة من ضباطها بالجنون .. وصدق الله
العظيم :

﴿ إن يكن منكم عشرون صابرون يغلبوا مائتين .. وإن يكن
منكم مائة يغلبوا ألفا من الذين كفروا ﴾ ..

لقد كانت نتيجة هذه الموقعة انفجارا زلزل أرجاء إيطاليا ..
مائة وخمسون يقتلون ألفا وخمسمائة .. ويتسبون فى جنون سبعة
من الضباط .. مائة وخمسون بالبنادق والأسلحة العتيقة يتصلون
لجيش أوروبا فيدمرون ويدحرزونه ..

لقد جن جنون إيطاليا ، فما سر هذه التضحية فى جنود
العرب ؟ .. إنه الإسلام .. قلنحرك فى شباهنا أحقاد الماضى
الدفينة وتاريخ الحروب الصليبية .. فكان هذا النشيد الذى يقتر
حقدا وعداوة وهمجة ..

صلى يا أماء ولا تبكى .. بل اضحكى وتأملى ..
أأ تعلمين أن إيطاليا تدعونى وأنا ذاهب إلى طرابلس فرحا
مسرورا لأهزل دمي فى سبيل سحق الأمة الملعونة .. ولأحارب

الديانة الإسلامية ..

سأقاتل بكل قوتي لمحو القرآن ..

ليس بأهل لمجد من لم يميت إيطاليا حقا ..

يا أماء .. أنا مسافر .. ألا تعلمين أن الأمواج الزرقاء

الصفافية من بحرنا ستلقى سفائنا على المراسي .. ؟ أنا ذاهب إلى

طرابلس مسرورا لأن رايتنا المشقة الألوان تدعوني وذلك القطر تحت

ظلها ..

لا تموتى لأننا في طريق الحياة .. وإن لم أرجع فلا تبكى على

وليدك ..

ولكن اذهبي كل مساء وزوري المقبرة ونسانم الأصيل نحمل إلى

طرابلس وداعك الذي يابى الحداد على قبر قلعة كبدك ..

وإذا سألك أحد عن عدم حناتك على .. فأجيبه ..

إنه مات في محاربة الإسلام ..

يقول المرحوم أرسلان :

ومن أغرب الأمور أن نرى الأوروبيين ودعاتهم وتلاميذهم من

الشرقيين يتهمون المسلمين بالتعصب .. ويزعمون لأنفسهم

التساهل في أمور العقيدة والدين .. ؟

بل إن بعض المسلمين «جغرافيا» ينساقون بهلاهة وراء هذه
الأكاذيب الضخمة فيتساهلون في أمور دينهم حتى يكونوا
«متدنيين» وعصريين ..

فالمسلم في نظر هؤلاء لا يكون «غير متعصب» إلا إذا سمع
بتنصير المسلمين ثم يمر بذلك كأن لم يسمع شيئا .. وإلا إذا سمع
أن الهولنديين والفرنسيين نصرّوا عشرات الألوف من المسلمين فهز
كتفيه كأن لم ير شيئا ..

هنالك بصير «راقيا» ويعد «عصرها» ويصبح عند أعداء الله
محبوبا ..

أما الأوروبي فله أن يبذل القناطر المقنطرة على بث الدعاية
التبشيرية بين المسلمين وله أن يحميها بالمدافع والطائرات
والدبابات ..

وله أن يحول بين المسلمين ودينهم بالقوة والمدرمعات .. وله أن
يلبس كل دسيسة محكمة لهدم الإسلام في بلد الإسلام وليس عليه
من حرج في ذلك ولا يسلبه هذا العدوان والبغض صفة «راق» و
«متدين» و «عصري» ..

وهؤلاء المسلمون الجغرافيون برغم هذه الشواهد والأدلة ورغم

ما فعلته فرنسا «اللا دينية» في محاولة تنصير الهمبر وفصلهم عن الإسلام .. ورغم حماية «هولندا» لمبشرى الإنجيل وإصرار بلجيكا على تنصير أهل الكونغو .. ومنع الإنجليز للدعاة المسلمين في كينيا وأوغندا وتنجانيقا وجنوب السودان .. ورغم أمور كثيرة لا نستطيع شرحها فإن الأغبياء لا يزالون يقولون :

إن أوروبا قد رقت الدين .. وصارت دولها علمانية لا دينية .. ولهذا تقدمت وترقت ولا سبيل لربنا حتى نترك الدين .. ؟
ونقول لهؤلاء الأغبياء والعمى في أمتنا ..

إن التبشير والاستعمار يسيران جنباً إلى جنب .. بل إن التبشير كان دائماً هو طليعة الاستعمار في كل أرض ، فقد أرادت أن توهم المسلمين بتخليها عن «الدين» حتى يحذو حذوها وينفصلوا عن مصدر القوة والعزة والحرية .. أوهمت المسلمين ظاهراً بهذه الأكذوبة ثم أطلقت «عصابات التبشير» في مستعمراتها تحت حماية قواتها المسلحة لتدمر وتخرب في عقائد المسلمين .. لأن الإسلام هو العزة والحرية .. وما بقي المسلمين مسلمين فلا بقاء لمستعمر في أرض تدين بالإسلام والرسالة المحمدية .. وهنا نقف وقفة قصيرة ..

لقد حدثني في العام الماضي (١١) رجل كان يشغل منصبا قانونيا كبيرا في هيئة دولية .. قال ذلك الرجل المسلم :
عندما أمت قناة السويس وجد في ميزانيتها قرار باعتبار
خمسة ملايين جنيه ترصد لأعمال التبشير بتوبا في المنطقة ..
والأغرب من هذا كله أن «فرديناند دبلس» المهندس الفرنسي
الذي أشرف على شق القناة أرسل إلى بابا روما بعد حفل الافتتاح
برقية يخبره فيها بأن الطريق إلى غزو العالم الإسلامي والسيطرة
عليه أصبح ممهدا .. سهلا ... !!

هل إن أحد الرهبان واسمه «سان لوى» هو الذي فكر منذ زمن
بعيد بشق هذه القناة ليصبح الطريق مفتوحا أمام جحافل الغزو
الصليبي في قلب العالم الإسلامي ..

ولم أعجب حين سمعت من الرجل القانوني هذه القصة .. فقد
رأيت بعيني تلك المدارس التبشيرية التي أنشأتها شركة قناة
السويس في مدن القناة كلها ..

وكل هذه المدارس تديرها راهبات بإشراف الكنيسة والكرادلة
وهي مدارس «سان فنسان دي بول» و «سان لوى» و

«الفرنسيسكان» وبانباستير والصليبي الحاقد فرديناند ديلميس.

نعود مرة أخرى إلى كتاب المرحوم شكيب أرسلان :

يقول رحمه الله : إن من أكبر عوامل انحطاط المسلمين الجمود على القديم فكما أن آفة الإسلام هي الفئنة التي تريد أن تلغى كل شئ قديم بدون نظر فيما هو ضار أو نافع .. كذلك آفة الإسلام هي الفئنة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئا ولا ترضى بإدخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامى هنا منها بأن الاقتداء بالكفار كفر ، وأن نظام التعليم الحديث مع وضع الكفار ..

لقد أضاع الإسلام جاحد وجامد ..

أما الجاحد فهو الذى يأبى إلا أن يفرنج المسلمين وسائر الشرقيين ويخرجهم عن جميع مقوماتهم ، ويحلهم على إنكار ماضيهم ويجعلهم أشبه بالعنصر الكيماوى الذى يدخل فى تركيب جسم آخر فيذوب فيه ويفقد هويته .. وذلك لا يصدر إلا من الفصل الحسيس التعس الذى يشعر أنه فى وسط قومه دنى الأصل فيسعى هو فى إنكار أصل أمته لأنه يعلم نفسه منها بمكانة خسية ليس له نصيب من الأصالة فيريد أن يجعل الكل شريكا له فى هذه الخسة ..

إنهم كالقرود يفلدون بغير وعى ولا إدراك .. فقد قال المستر «شمبرلين» ناظر خارجية إنكلترا سابقا .. ورئيس وزرائها فى مطلع الحرب العالمية الثانية .. نحن الإنكليز أمة تقليدية محافظة على القديم لا نرضى بتبديل شئ من أوضاعنا إلا إذا ثبت ضرره ولم يبق مناص من تغييره ..

ومما يزيد هنا المثال تأثيرا فى النفس أن الأيرلنديين أمة صغيرة مجاورة للإنجليز وقد حاولت بريطانيا كل ما يتصوره العقل لدمج هذا الشعب فى الأمة الإنجليزية مدة تزيد عن سبعمائة عام لمأبوا أن يصيروا إنجليزا ويقولوا إيرلنديين بلسانهم وعقيدتهم ..

وفى فرنسا تأبى جماعة «البريتون» إلا أن يحافظوا على أصلهم وفى جنوب فرنسا توجد جماعة يقال لهم «الباشكنس» ظلوا محتفظين بقوميتهم تجاه القوط .. والعرب .. والفرنسيين .. والإسبان ، وفى سويسرا ثلاثة أقسام لكل قسم لغة .. الأمثلة كثيرة ولا تنتهى فى أوروبا وأقطارها وقد حصرت أمثلى فى أوروبا لأنها القدوة لمهؤلاء الجاحدين فى العالم الإسلامى والعربى .. واليابان .. نعم اليابان !

إنها دولة شرقية مائة فى المائة فكيف نهضت وتقدمت وسبقت

الكثير من دول أوروبا والقرب ؟ .. هل تخلصت من قوميتها وعقيدتها ؟ .. هل انسلخت عن ماضيها وتراثها ؟ .. هذه الأمة الشرقية التي يضرب بها المثل في الرقى والتقدم لاتزال ملتزمة بعادات وتقاليد مضى عليها أكثر من ألفى سنة .. وامبراطورها هو ابن السماء والكاهن الأعظم ..

ملك إنجلترا وامبراطور الهند .. فيما مضى .. هو رئيس الكنيسة الانجليكانية (حسب الدستور) ومجالسه النيابية تناقش في قضايا لاهوتية خطيرة مثل قضية الخبز والخمر وهل يستحيلان بمجرد كلام القسيس إلى جسد المسيح ودمه كما تنص تعاليم الكنيسة فكيف لا يقال عن هذا الملك إنه رجعى وأن دولته العظمى متأخرة متقهقرة .. ؟

إنها أمثلة لا تحصى أيضا في الأمم الأوروبية .. الأمم التي تدعى العلمانية .. وفصل الدين عن الدولة .. وهنا نقف وقفة ثانية ..

لإسرائيل دولة انبثقت من تعاليم التلمود والتوراة .. العبرانية تعود من جديد إلى الحياة .. المخترعات تحمل أسماء كانت قد اندثرت تحت أنقاض الزمن .. كل شئ في إسرائيل يتعطل يوم

السبت لأنه يوم مقدس .. الأحزاب الدينية تكيف الحياة في إسرائيل حسب التعاليم التي انقضت .. في كل فرقة من الجيش حاخام يفرض وجوده على قواد الفرق .. ومع ذلك فإن إسرائيل كما يردد القروء في العالم العربي دولة عصرية .. دولة عصرية رغم كونها عصرية .. دولة تقدمية وكل شئ فيها ملون بأحبار الكهنة والحاخامات ..

ويقول المرحوم شكيب أرسلان :

بقى بعد ذلك أن نتحدث عن الجامدين في العالم الإسلامي هؤلاء الذين مهدوا لأعداء المدنية الإسلامية الطريق لمحاربة هذه المدنية محتجين بأن التأخر الذي عليه العالم الإسلامي إنما هو شمة تعاليمه وقيمه ..

إن المسلم الجامد هو سبب الفقر في العالم الإسلامي لأنه جعل من الإسلام ديناً آخر فقط بينما الإسلام دين ودنيا .. والجامد هو الذي شن الحرب على العلوم الطبيعية والرياضية بحجة أنها من علوم الكفار فحرم الإسلام ثمرات هذه العلوم وأورث أبناء الفقر ، والمسلم الجامد لا يدري أنه بهننا المشرب يسعى لبوار أمته وحطها عن الأمم الأخرى ولا يتنبه لشئ من المصائب التي جلبها على

قومه إهمالهم للعلوم الكونية حتى انتهوا إلى هذا الجهل الذى هم فيه وصاروا عبالاً على أعدائهم الذين لا يرقبون فيهم إلا ولا ذمة. والحقيقة أن هؤلاء الجامدين هم الذين لا تأتلف عقائدهم مع المدنية وهم الذين يحولون دون الرقى العصرى .. والإسلام قبل غيره برئ من جمودهم وسذاجتهم ..

إن الإسلام ثورة على القديم الفاسد ، وقطع كل العلائق مع غير الحقائق فكيف يكون الإسلام ملة الجمود. وهو وحده دين التقدم والتطور .. ؟

فالمسلم الجامد يعارب كل علم غير العلم الدينى الذى ألفه .. وينسى أن العلوم الطبيعية والرياضية والفلك والطب والهندسة والكيمياء وكل علم يفيد الاجتماع البشرى هى علوم دينية .. وكم جرى تدريس هذه العلوم فى الأزهر الشريف والزيتونة والقرويين وقرطبة .. وبغداد وسمرقند وغيرها عندما كان للإسلام دول ورجال أعظم .. وكم نبغ فى الإسلام من عظماء جمعوا بين الحكمة والشرعة ونظموا بين الحديث والرياضة وأن أكبر فيلسوف عربى اشتهر اسمه فى أوروبا هو القاضى «ابن رشد» وقد كان من أكابر الفقهاء والفلاسفة .. ؟

لقد بلغت بغداد في عهد المنصور والرشد والمأمون ما لم تبلغه مدينة قبلها ولا بعدها إلى هذا العصر حيث كان أهلها يبلغون مليونين ونصف مليون من السكان ..

كذلك كانت دمشق والقاهرة وحلب وسمرقند وأصفهان وحواضر أخرى كثيرة من بلاد الإسلام ، كانت القبروان وفارس ومراكش في العرب أعظم وأعلى من أن يطاولها مطاول أو يناظرها مناظر أو أن يكائرها مكائر في ممالك أوروبا حتى القرون الأخيرة ..

وكانت قرطبة مدينة فذة في أوروبا لا يداها مدان .. وكان عدد سكانها مليون ونصف المليون نسمة . وكان فيها نحو سبعمائة جامع عدا المسجد الأعظم وقد حدثني المهندس الإسباني الذي كان يرافقني حين زيارتي لهذا المسجد أنه يتسع لحوالي (٥٠ . ٠٠٠) خمسين ألف مصلى في الداخل و (٣٠ . ٠٠٠) ثلاثين ألف مصلى في صحنه الخارجي ..

وحسبك أن غرناطة التي كانت حاضرة مملكة صغيرة في آخر أمر المسلمين في الأندلس لم يكن في أوروبا في القرن الخامس عشر المسيحي بلدة تضاهيها ولا تدانيها .. وكان فيها عندما سقطت في أيدي الإسبان نصف مليون نسمة ولم يكن في ذلك

الوقت فى أبة عاصمة أوروبية نصف هذا العدد ..

هكذا كان المسلمون سادة الدنيا ومغفرتها .. كانوا كذلك حين كان الإسلام فعالا مؤثرا فى الحياة والحكم .. حين كان الإسلام هو المهيمن على القلوب والفكر حين كان الإسلام هو المصدر الأول والأخير للتشريع والنظام ..

إن القائلين بأن الإسلام هو سبب تأخر المسلمين هم أول الناس علما بضخامة أكذوبتهم وإذا صدر هذا الكذب والافتراء من أمم تدين بالنصرانية فإنما يعمدون بهذا الكذب إلى ستر خيبتهم وأحقادهم ..

لقد كانت اليونان - قبل النصرانية - أمة من أرقى أمم الأرض وكان الإسكندر الأكبر ابنا لهذه الأمة التى تصدرت بشقاقتها شعوب العالم فى فترة من الزمن ، ولم تزل اليونان فى هذه المكانة حتى دخلت فى النصرانية فبدأت تتدلى وتنحدر حتى أصبحت ولاية تركية ...!!

وكانت روما دولة عظمى لا تذكر بجوارها دولة .. ولم تزل كذلك حتى دخلت فى النصرانية على عهد قسطنطين ومنذ ذلك الوقت بدأت تنحدر وتنحط حتى تلاشى سلطانها شرقا وغربا ..

وأصبحت أقطارها ولايات إسلامية !!..

وفي نظر الكثير من المؤرخين الأوروبيين أن الكنيسة هي العقبة
الكثيرة في طريق كل نهضة ، وأنها سبب الانحطاط والتأخر ،
وأنها الوحيدة التي عرقلت عجلة الحضارة في أوروبا وأن عصر
النهضة لم يبدأ إلا بالتخلص من الكنيسة ومفاهيمها البالية
العتيقة .. وقد قال « فولتير » لرئيس وزراء النمسا البرنس
« سبندروف » حين زاره وسأله عن حركة الإصلاح المسيحية التي
قام بها « لوثر » و « كلفن » قال « فولتير » :

كلاهما لا يصلح حذاء لمحمد !!..!!

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠٠١ / ٢٢٠٠

دار الناصر للطباعة والإستلامية
٩ - شوارع فضائل شبرا القمامة
الرقم البريدي - ١١٢٣١